الحوار:

نافذة مفتوحة

بقلم : محمد مزالي

لا نزال نذكر ـ كلما أتيحت لنا الفرصة ـ بأن الأصالة تفتح وليست انغلاقا أو تقوقعا ، وأن التفتح اطلاع وتطلع ، واحتكاك ومعاشرة ، وعبرة واعتبار ، وتعارف مع الآخرين شرقا وغربا ، وتعرف الى خصائصهم وأسرار عبقريتهم ونوع تمشياتهم العقلية وردود فعلهم الوجدانية وخصائصهم الاجتماعية والحضارية ، والعمل على التحاور معهم والاقتباس منهم وإفادتهم قدر المستطاع ، ذلك أن علاقات الشعوب يجب أن تنبنى على منطق الاحترام المتبادل والاخذ والعطاء والا خضعت لقانون القوة العسكرية أو الاقتصادية وتحكم فيها الغرور ونزعة الهيمنة والجور .

وبقدر ما نحن أوفياء لأصالتنا ذائدون عنها ، ترانا متمسكين بالتفتح فى معناه السليم والايجابى ، منذرين ومحذرين فى نفس الوقت من الانفتاح الذى يعنى الاخذ من الغير والتأثر به ومحاكاته من دون ميز ولا تثبت ، بل لمجرد كونه قويا ماديا واقتصاديا ، وتلك هى السلبية التى نربأ بمثقفينا وشبابنا الطالع ان يسقطوا فى دركها ويصموا أنفسهم بعارها .

وسنحاول ـ تبعا لذلك ـ كما هو شأننا دائما ـ ان نطل من نافذة دارنا الحضارية وانطلاقا من مقوماتنا القومية على بعض ما يجرى حولنا ليطلع عليه

الناطقون بالضاد في الوطن العربي ويستمدوا منه الموعظة والعبرة ، معتمدين كالعادة على ما يقوله الملاحظون والمفكرون في الغـرب حتى لا نتهـم بالتعصب وعاملين بقاعدة و « شهد شاهد من أهلها » !..

ولعل أكبر حدث عرفته أروبا في الشهر الماضي زيارة يوحنا بولس الثاني الى وطنه بولونيا بوصفه رئيسا للكنيسة الكاثوليكية ، بعد ان مرت الف سنة على آخر زيارة قام بها بابا لهذه البلاد .

ولقد اجمع كل الملاحظين في العـالم الغـربي خـاصة ـ المتـدينين منهـم والدهريين ، اليمينيين واليساريين ـ على أن الاستقبال كان حماسيا و « أن أحدا لم يعد يشك في قوة الكنيسة البولونية وتأصل جذورها في كل طبقات الشعب البولوني ولا في عزمها على تمثيل الامة كافة (راجع افتتاحية جريدة « لوموند » (التقدمية ؟!..) الصادرة في 7 جوان 1979) . واطنب الصحافيون المرافقون للبابا في وصف الملايين المتجمعة في ساحات فرصوفيـا وغنيازنـو وأوشويتز وكراكوفيا وبوزنان وفروكلاف ، وفـوق الهضـاب والجبـال وعلى امتداد الطرقات وعند أبواب الغابات مغنية بحنو خاشع وعميق « ابق معنا » و « لتعش مائة عام » ..

يقول مراسل جريدة لوموند « التقـدميـة » ؟! في عددها الصادر يوم 5 جوان : « لقد كان الشارع العريض المؤدي الى المدينة العتيقة مكتظا بالناس : شبان جالسون ، واقفون ، طلبة .. تلاميذ يتكدس بعضهم على بعض في كتلة متراصة . ولقد عسكر الكثير منهم هناك منذ الليلـة السـابقة . ولقد جـابت المدينة طوال الليل مجموعات تتقاطر نحو نقطة اللقاء مع البابا . لم يكن ثمـة ما يمنعه من الاتجاه نحو هذه الأيدي الممدودة ، نحو هـؤلاء الأبطـال الـذين يركعون على قدميه ويمسكون به ليلامسوه ويعانقوه . منذ الامس وانا اسال نفسي : ماذا حدث لهذا المجتمع ؟ أتراه اصبح الى هذا الحد كاثوليكيا ؟ »

ويقول مراسل لوفيغارو (عدد 5 جوان 1979) : اجتاز البابا أكبر شارع بمدينة « شستوشوفا » وسط الهتافات الممتدة على مدى كيلومترين وصعـد

على المدرج المؤدى الى معبد العذراء السوداء . ورغما عن أن هذا اليوم ليس يوم راحة فى بولونيا فقد حضر القداس خمسمائة الف حاج ! وقد صلى البابا من أجل ان « تتمتع الكنيسة بالحرية والسلام » . كان الناس يصلون جاثين على الارض متضرعين مثل الخاشعين فى العصور القديمة : بهذه الطريقة تتجلى سجية الكاثوليكيين البولونيين الذين سموا بـ « مجانين الله ! » .

ومما جاء فى مقال وصفى لمراسل مجلة « بـارى مـاتش » (عدد 15 جوان 1979) : « لمدة ساعات امحت الجمهورية الشعبية امام الامة الكاثوليكية وترك المنجل والمطرقة المكان المصليب وهو مع ذلك الرمز المنبوذ (رسميا) . وكتبت الأبرشية الطالبية بفرصوفيا هذه الكلمات باللاتينيـة على احـدى اللافتـات المعلقة ببناية جامعية متاخمة لكنيسة القديسة « آن » : الشباب الطالبى مؤمن، وفى دائما . وقد قضى عدد كبير من الشباب ليلتهم وهم نائمون على الطريـق مستضيئين بالشموع وفجأة تنطلق الأصوات بنشيـد : « نـريـد اللـه فى مدارسنا » ... ثم يحصل امر خارق للعادة : مائة ألف ... مائتا ألف صليب صغير ترتفع فوق الرؤوس !...

ويستقبل البابا فى المطار كبار المسؤولين وعلى رأسهم رئيس الدولة وخاصة الكاتب العام للحزب الشيوعى الحاكم السيد جيرك الذى يخاطبه امام الجمـوع الحاضرة فيذكره بالطريق التى قطعتها بولونيا منذ ثـلاثين عامـا ، أى منذ انتصاب النظام الشيوعى بها بعيد الحرب العالمية الثانية فى ميدان الانجازات الاقتصادية والاجتماعية ... فيضع البابا رده تحت شعار الـوطنية قائـلا : « إننا نحس ـ نحن البولونيين ـ كاعمق ما يكون الاحساس ، بان علـة كيـان الدولة هى سيادة المجتمـع والأمـة والـوطن ... » ويضيف : « ان سياسة الانفراج وتقارب الشعوب ذات مغزى اخلاقى عميق ولكنها لا يمكن أن تنجح الا باحترام حقوق الأمة الموضوعية : الا وهى الحق فى الحياة وفى الحرية وحق كل فرد فى ان يكون ذاتا سياسية واجتماعيـة وحـق كل شعب فى ان يبنـى ثقافتـه وحضارتـه » وهكذا يقلب البـابـا ـ كمـا يقـول مـراسل مجلـة

« الاكسبريس » (عدد 16 جوان 1979) ـ مفردات الماركسية وجدلية الموضوع والذات ضد مضيفيه ! وهكذا يسترد لفائدة الكنيسة نزعة البشر إلى العدالة الاجتماعية التى كانت مبعث الشيوعية !... »

ولئن قال أحد أقطاب الحكام الشيوعيين هناك إنه ابتداء من الآن ليست الكنيسة هى التى يجب أن تتفاهم مع الحزب الشيوعى بل إن الحزب الشيوعى هو الذى ينبغى أن يتفاهم مع الكنيسة ... وذهب آخر الى التعبير عن حيرته بنوع من السخرية المرة قائلا : « آه لو كان بامكاننا أن نجعل من يوحنا بولس الثانى أمينا أولا للحزب !... فان الذى نعتقده هو أن الأشياء لن تبقى فى بولونيا بعد هذه الزيارة مثلما كانت عليه قبلها » (1) .

والذى يجب ان نذكر به فى هذا الصدد هو أن بولونيا اختفت من الخريطة مرارا خلال تاريخها الطويل ثم كانت فى كل مرة تعود ، راسخة قدمها فى ترابها وروحها وتقاليدها ، رغم ما نالها من ضغوط واحتلال ومحاولات مسخ وابتلاع من طرف روسيا الارتودكسية والمانيا البروتسطانية . وإنما صمدت واحتفظت بذاتيتها رغم الأعاصير بفضل تمسكها بدينها وبلغتها كلفها ذلك ما كلفها !

واذا نحن توسعنا فى الحديث عن الزيارة البابوية فللتدليل على أن أكثر من ثلاثين سنة من الحكم الشيوعى الذى غير كل شىء فى الظاهر وحور برامج التعليم ومناهج تكوين الشباب على أساس العلمانية والمادية والجدلية الماركسية لم تؤثر على روح الأمة ولا نالت من عقيدتها أو غيرت وجهتها الأصيلة .

---

(1) يحسن فى هذا المقام بالمهتمين بالصراع بين الماركسية والمسيحية أن يطالعوا الكتاب الجديد الذى صدر لآدم مشنيك Adam Michnik وهو شيوعى منشق بعنوان : « الكنيسة واليسار : الحوار البولونى » ومما يقوله هذ الماركسى المرتد (!) : كنت أعتبر الكنيسة عدوة الحرية فاذا بها اليوم خير ضمان .

نعم ، إن أكثر من نصف سكان بولونيا تخرجوا من المدارس والمعسكرات ودور الشباب التى لا تدرس فيها الا النظرية الرسمية أى الماركسية اللينينية، بوصفها مذهبا « علميا » ، « عقليا » ، « منطقيا » ، ولكن هؤلاء الشباب والطلبة ركعوا اليوم أمام البابا فعبروا بذلك عن حقيقة لا نزال نذكر بها وهى أن سد الحاجات المادية ضرورى ولكنه غير كاف وان العلم ضرورى لفهم أشياء كثيرة فى الحياة وتنظيم عيش الانسان ولكنه غير كاف وأن تطور البشرية لا يسير بالضرورة نحو موت الروحانيات وفناء الفلسفة بل إن للدين والشعر والعاطفة منزلة مرموقة فى حياة الانسان .

فهل تعلم أن 90 % من البولونيين البالغ عددهم 35 مليون هم مسيحيون وأن الكنيسة فى هذه البلاد تعد اليوم 27 ابرشية وادارة رسولية و 78 أسقفية ومطران و 19913 قسا (مقابل 14000 قبل الحرب أى قبل انتصاب النظام الشيوعى) من بينهم 15219 غير معترف بهم قانونيا و 4694 معترف بهم قانونيا ، أى بمعدل قس بالنسبة الى كل 1500 متدين ! وهل تعلم أن عدد رسامة الكهان ارتفع الى 569 أى بزيادة 131 بالنسبة الى 1977 وهل تعلم أنه يزاول الآن حوالى 2600 طالب دراستهم بالجامعة الكاثوليكية « بلوبلين » بالاضافة الى 870 طالبا يزاولون دراساتهم العليا فى كليات اللاهوت بفرصوفيا وغيرها وهل تعلم أخيرا أن بولونيا تعد 14000 كنيسة ومصلى وان عدد البناءات الجديدة بلغ 37 من 1966 الى 1970 و 118 من 1971 الى 1975 ؟!... ألا يذكرك ذلك بقولة « اندرى مالرو » الشهيرة : « إن القرن الحادى والعشرين سيكون روحانيا او لا يكون ! » .

وهكذا نتفتح على العالم ونستقرىء أحواله لنعتبر بما يجرى فيه وربما لنراجع بعض مفاهيمنا ونتلاءم مع الواقع الجديد ولنعد العدة لمواجهة مشاكل هذا الزمن الخائف من حضارته الآلية التكنولوجية الحائر من أزمة الطاقة ، القابع تحت مظلته النووية ، هذا العالم الذى يسعى فيه الأقوياء الى دعم

نفوذهم على الضعفاء وترسيخ هيمنتهم الاقتصادية والفكرية (1) والتى لا يستحى أحد «المفكرين» من أن يلوم أهل الحل والعقد ببلاده على مساعدة بلاد العالم الثالث على نيل استقلالهم (2) كأنهم ساعدونا حقا ولم نكافح نحن سنين طويلة ولم نضح بالنفس والنفيس لافتكاك حريتنا وتخليص سيادتنا ومساهمتنا الفعلية فى صنع تاريخنا .

إن التفتح ليس انبهارا بالغير ولا تقليدا له بل هو كما أكدنا ذلك تخير واقتباس واعتبار انطلاقا من أصالتنا أو اعتمادا على نظرتنا نحن للوجود وفلسفتنا فى الحياة .

والتفتح بهذا المعنى ضرورى وحيوى وسنظل متمسكين به ، ننظر من خلال نافذتنا المفتوحة على ما يجرى فى الدنيا ، من دون غفلة ولا ارتخاء ولا ملل لأن حركية الاحداث فى الساحة العالمية شديدة السرعة غريبة الاطوار ولأن شعوبنا تلاحق التقدم وتنشد السؤدد ولأن الذى لا يتقدم ـ فكريا وماديا ـ يتأخر وتتجاوزه الاحداث ولأن الساعات طائرة ـ كما يقول أبو حيان التوحيدى ـ والحركات دائمة والفرص ـ للشعوب كما للأفراد ـ بروق تأتلق !...

محمد مزالي

(1) انظر فى هذا الصدد الى نتائج الدورة الخامسة لندوة الامم المتحدة للتجارة والتنمية المنعقدة بمانيليا عاصمة الفيليبين من 7 ماى الى 2 جوان 1979 والى خيبة الأمل التى شعرت بها الاقطار النامية والفقيرة منها على الخصوص ازاء أنانية وجشع الدول الكبرى مهما كان معسكرها التى لم تلتزم بشىء يذكر لاعانتها أو للتخفيف من ديونها .

(2) راجع مقالا نشر بجريدة الفيغارو الباريسية (عدد 9 ـ 10 جوان 1979) للكاتب بيار فاكسوت .

«الفكر» تنهي سنتها الرابعة والعشرين

بهذا العدد تكون « الفكر » قد أنهت سنتها الرابعة والعشرين مستقبلة سنة اخرى بنفس العزم والحماس والايمان الذى درجت عليه منذ اعدادها الاولى لا يحدوها فى ذلك الا ما يمليه الفكر من مواقف واعمال لان الفكر كما كتب ذلك مؤسس المجلة ومديرها الاستاذ محمد مزالى : « موقف يقظ وعمل فطن ذكى وآلة بها نغير الكون ونقده على قد مثلنا العليا » (نوفمبر 1956) .

نحن باقون على هذا الايمان حريصون على التشبث به ، ماضون على هديه ، يعتمل فى نفوسنا ذاك الحماس الذى لا ينى ويدفعنا نفس الطموح للتغيير والبناء ، وتقودنا نفس المبادىء والقيم . وليس القصد من هذه الوقفة القصيرة ان نعدد ما ساهمت به مجلة الفكر فى حقل الثقافة والادب والفكر ونذكر بما واكبته من الاحداث والقضايا سواء منها السياسية المصيرية او القطاعية الهامة وانما لنؤكد ان المجتمع التونسى فى تطوره الشامل واندماجه ضمن المجتمعات الشقيقة والصديقة محتاج دائما مثلما كان فى أول عهده بالاستقلال الى التشبث بالقيم والمثل العليا والمبادىء السامية لتكون هديا له فى نشاطه الاقتصادى والاجتماعى .

وما الادب والثقافة والفكر فى انبل ادوارها الا سماد لحياة الناس والدفع الذى لا ينى فى نشاطهم اليومى والراحة المعنوية عند الاخلاد الى الضمير والا فان قانون الغاب يصبح على الجميع مسيطرا وروح الكسب الرخيص القاتل لكل أخوة وتعاون وعدالة يصير أساسا منخورا وناخرا للحياة الاجتماعية .

لذا فان كل القضايا التى اثيرت على صفحات مجلة الفكر من خلال الدراسة او القصة او الشعر انما وجدت مكانها لانها تخدم من بعيد او قريب هذا الذى من اجله انشئت مجلة الفكر باعتبارها كما قال

مؤسسها « ارادة جهاد من اجل رفع مستوى الثقافة فى هذه الديار وخدمة الادب العربى والنهوض به وجعل الكلمة المقدسة « تفعل » فى الواقع وتقده على قد المثل العليا والمبادىء السامية التى نؤمن بها ونحيا من اجلها » .

فكل القضايا التى تعالج فى هذه المجلة بالطرق الفنية المختلفة سواء منها المصيرية او الحضارية والثقافية او الادبية البحتة او اللغوية انما القصد منها فى آخر المطاف ورغم التواءات الفن فى بعض الاحيان أن يكون الانسان فى تونس وفى غير تونس اكثر حرية وتحررا واوفر كرامة وعزة واقدر على التحكم فى مصيره فرديا وجماعيا وارهف وعيا بمنزلته البشرية واشد مراسا فى استقباله المستقبل الملىء بالمفاجآت لصنعه كما شاءت النفس الخيرة القادرة الكريمة لا كما شاءت الاقدار .

على هذا السنن سرنا ولعلنا توفقنا فى هذه الفترة الطويلة في المساهمة فى تحقيق هذا الذى نؤمن به ولكننا على يقين أننا ما زلنا فى بداية الطريق وان عملا جبارا ينتظرنا للقيام برسالتنا على احسن وجه حتى يعى الانسان التونسى قضاياه الاصلية ويندمج اولا فى مجتمعه الاندماج الكلى ويتفاعل معه ويمنحه أكبر جهده وأنبل طاقته ثم ينصهر بكليته مع اخوانه فى الحضارة والثقافة وأخيرا يعمل على التواصل والتعاون بين البشر جميعا .

هذا ديدننا وهذه هى طريقتنا فى ممارسة الادب والفكر وبالنسبة لمجلتنا نحن على يقين ان قراءنا الكرام والمساهمين فى اثراء هذه المجلة لم يعينونا على مواصلة سيرنا الا لانهم يريدون تحقيق هذه المبادىء والقيم فشكرنا يتجه اليهم أولا وبالذات لان بهم أمكن لنا تذليل العقبات المادية والنفسية وبهم ايضا سنواصل هذا السير ونقوم بهذه الرسالة ونحن موقنون اننا ما زلنا فى أول الطريق وان دروب الفكر الوعرة تحتاج الى مزيد من الثقة بالنفس والقوة والعزيمة والحماس .

فالى اللقاء على دروب الفكر .

البشير بن سلامة

هكذا نحن ..!

شعر : أحمد اللغماني

تولد الشمس على مهد جميل من شفق ،
ثم ترتد الى لحد رهيب من شفق

* * *

كان قابيل وهابيل قديما أخوين
توأمين : اتحدا خلقا ، وبانا خلقين
مثل ذين الشفقين : اتحدا مختلفين
أى عين تستطيع الميز بين الشفقين ؟
أى عقل يجهل الفارق بين التوأمين ؟

قد تغر العين فالظاهر يستهوى الحدق
يبصر الاشباه ، لكن لا يراها تفترق ،

* * *

اننى اهفو الى الشمس شروقا وغروبا
أتلقاها صباحا أملا ينفح طيبا
فاذا مالت بها الدورة واصفرت شحوبا
وهوت جمرا على جمر مذابا ، ومذيبا
أتلقى نعيها حزنا سعيريا سكيبا

هكذا شأني مع الشمس اذا الصبح انبثق
واذا ما انحدرت في الافق قرصا يحترق .

* * *

كلنا يحمل في جنبيه شمسا تتقلب ...
بين صنوين من الاضداد : اشراق ومغرب
وعلى كل جبين مشرق أو متقطب
شفق ثر السنا ، أو شفق كالدم يشخب

هكذا نحن ! شموس ما خلا منها أفق
بازغات من شفق ،
غاربات في شفق

أحمد اللغماني

دور الفلسفة في بناء الشخصية الفردية والجماعية

بقلم : محمد مزالي

هذه هى المرة الثانية (1) التى اجتمع فيها هذه السنة بعدد من الاساتذة المختصين فى الفلسفة وبالمتفقدين المسؤولين عن تدريسها وذلك للنظر فى موضوع هذه المادة ودورها فى تكوين الشخصية الفردية والجماعية . ولكن هذا الاجتماع يتميز بانضمام المتعلمين الى المعلمين . وهى بادرة طيبة لانها تمكننا من فرصة الاتصال بمن لا يزالون فى طور التكوين وطلب العلم . هذا ولست أخاطبكم اليوم بوصفى عميدا للفلسفة ـ كما قال الزميل محمد حرز الله المسؤول عن تنظيم هذا الملتقى ـ اذ ليس للفلسفة عميد ، ولا بوصفى وزيرا اذ ليس من المفروض ان يكون الوزير مختصا فى الفلسفة وانما أخاطبكم بوصفى أستاذا قديما فى الفلسفة تعلمتها وعلمتها ولا تزال تربطنى بها « عشرة » متينة تتمثل فى المطالعة والتأمل والاعتبار .

يجب قبل كل شيء ان نحصر الموضوع لتشعبه وامتداد اطرافه وقد أبى السيد محمد حرز الله الا أن يجعل من محاضرتى درسا والدرس مقيد بوقت لا يتجاوز حدود الساعة وهذا ما سأحاول المحافظة عليه متوخيا سبيل البيان والايجاز ما استطعت .

ومما أريد تأكيده بادىء ذى بدء اننا حريصون على ابقاء تدريس الفلسفة بالسنة السابعة ودعمها ايمانا منا بأنها تساهم مساهمة فعالة فى تكوين شخصية الشاب .

---

(1) هذا نص الكلمة التى ارتجلها السيد محمد مزالى لدى اشرافه على ندوة أساتذة الفلسفة بالمعاهد الثانوية بولايات الوسط يوم الثلاثاء 27 فيفرى 1979 بمدينة المنستير .

ان الفلسفة ليست مجرد استعراض نظريات أو حذقا في التفكير او تحذلقا في التعبير انما الفلسفة قبل كل شيء سبيل الى تكوين شخصية الطالب الشاب لانها تعلمه كيف يفكر وكيف يضع أفكاره وما يسمعه وما يراه موضع الشك ثم اليقين .

قلت في المحاضرة الاولى التي القيتها بنزل الماجستيك بتونس ★ ان كل درس في الفلسفة اذا ما ألقى بموضوعية وأمانة اعني بدون ايحاء متعمد أو متكلف يجعل التلاميذ يخرجون منه أكثر حرية اعني أنهم يخرجون وشخصيتهم أوفر غنى وثروة واكثر اتساعا وشمولا أي أنهم يغنمون مزيدا من القدرة على تقييم انفسهم وتحديد موقفهم من الحياة والمعتقدات الموروثة والمسموعات والمرئيات ويستعدون أكثر من ذي قبل لهضم الجديد وكذلك لايجاد علاقة منطقية بين كل ما يرد عليهم وبين ما ينبع من تفكيرهم .

ولذلك فليس المطلوب من الفلسفة اثراء الشباب بنظرية معينة وان سعى - قديما وحديثا - كل فيلسوف الى اقناع مريديه او قارئيه بانه وفق الى ايجاد المذهب الذي من شأنه ان يجيب على كل الاسئلة ويزيل الحيرة التي سيطرت على العقول طويلا .

ان أول عمل يبدأ به الفيلسوف هو تهديم النظريات السائدة ثم يبنى على انقاضها أو هو يحاول على الاقل بناء نظرية جديدة يعتبرها الى الحق أقرب وبالواقع ألصق واقدر على ازالة حيرة البشر . ولكن ما ان ينتهي من وضع فلسفته وتدوينها في الكتب حتى يأتي فلاسفة آخرون فيعاملونه بما عامل به سابقيه . حتى ان بعض المفكرين اعتبروا ان الفلسفة فتنة وانها مجلبة للحيرة والقلق وان احسن دواء من داء الفلسفة يتمثل في الايمان ولو كان ايمانا « كايمان العجائز » وكثيرا ما سخر الناس من الفلسفة وقال بعضهم ان « كاف » الكفر أحب اليه من « فاء » الفلسفة .

ولسائل ان يسأل لماذا اذن نتمسك بالفلسفة ونقرر في برامجنا سبع ساعات اسبوعية لتدريسها ؟ والجواب هو اننا نفعل ذلك لاننا نعتقد أن الفلسفة رغم مشاكلها وتهافت نظرياتها وتناقض مذاهبها هي تمرين متواصل يروض الفكر ويصقل ملكة التحليل ويوسع الثقافة ويكون بالتابع الشخصية الفردية والجماعية .

★ يوم 12 جانفي 1979 .

قد يخطر ببال بعضهم ان تدريس الفلسفة أمر معمول به فى جميع المذاهب التربوية فى العالم وهذا خطأ اذ هناك دول كثيرة لا تدرس الفلسفة لانها لا تريد أن تكون شخصية الشاب حتى يفكر بمفرده وهناك كثير من المذاهب وخصوصا تلك التى تدعى انها تحمل ايديولوجيات تقدمية تأبى أو تخشى تكوين الشباب تكوينا فلسفيا حرا يجعله يفكر بنفسه لان القائمين على تلك الانظمة يحاولون أن يجعلوه يفكر بحسب ما يراه «القيمون» عليه و «الاوصياء» على سداد رأيه واستقامة سلوكه ٠٠٠ واذا ما درست هذه الانظمة الفلسفة لمدة سويعات محدودة فانما تدرس مذهبا معينا لا غير وتتعصب له دون سواه ٠ فتجد فى موسوعاتها ومراجعها وفى الكتب المرخص فى تداولها بين ايدى الطلبة وثائق تنادى بحقيقة واحدة وتوجه الطلبة توجيها واحدا متحجرا لا خروج منه ولا زيغ عنه ٠ ولئن كنا اكثر تشبثا بالفلسفة فلاننا نتمسك ـ عن وعى ـ بضرورة تكوين شبابنا تكوينا حيا ، حرا ، متفتحا ، ذكيا يمكنهم طيلة حياتهم من ان يتكونوا بانفسهم ويفرضوا شخصيتهم ٠

فالفلسفة هى اذن رياضة وسلاح وهى ضرب من التكوين يمهد الى التكون الذاتى المتواصل اذ ان ما يدرس بالمعاهد يكون تكوينا ما لاحراز شهادات ما وان ما يحصل للدارس من معلومات لا يشكل الا نقطة انطلاق وقدرة متواصلة على اليقظة العقلية وحب الاستطلاع والتطلع الى الجديد لمواكبة العصر والتفاعل مع كل ما يجد فى دنيا العلم والمعرفة والثقافة ٠

ان وراء هذا الموقف تصورا للحقيقة نفسها ٠ فما هى الحقيقة ؟ يتصور الكثير ان الحقيقة شىء حاصل وعبارة عن كنز يكفى ان ننقب عليه كما ننقب على البترول للظفر به . وهنالك صورة كاركاتورية تمثل ديوجين الحكيم اليونانى وهو يحمل فى وضح النهار مصباحا للبحث عن الانسان ، عن الحقيقة ٠ ان هذه النظرة خاطئة وساذجة لان الحقيقة هى ما نكتشفه ونخلقه ونوجده شيئا فشيئا بتفكيرنا وببصيرتنا وتعاوننا بعضنا مع بعض فما كان يعتبر حقيقة أو خيرا أو عدلا أو حرية فى فترة ما أو فى مجتمع ما سرعان ما تتغير مفاهيمه ومقاصده لان البشر بكفاحه من اجل مثل جديدة وبصراعه من اجل حياة افضل وبالتزامه وحيوية فكره المستمرة وبطموحه المتواصل .. يخلق نظرة جديدة يتولد عنها واقع جديد ٠

ومعنى هذا ان طالب الفلسفة ـ ولا اقول الفيلسوف ـ لا ينبغى له بعد البحث ان يتشبث تشبثا اعمى بالحقيقة التى قد يتوصل اليها فينحدر بذلك

الى درك التعصب والغفلة عن الواقع الحي وينأى عن الفلسفة الحق التى تقاوم السبات الفكرى وتناهض الرتابة وتحض وتروض طالبها فى آن واحد على التفكير الدائب والشك الايجابى المنهجي .

فاذا كان ذلك كذلك فما هى علاقة الفلسفة بتكوين الشخصية التونسية ؟ ان هذه العلاقة لا يمكن ان يدركها اولئك الذين يدعون فى العلم «فلسفة» او يحاولون ان يكونوا أمميين ، يحلقون فوق الحدود الجغرافية والفروق الاجتماعية والمميزات الحضارية كما لو كانت الفلسفة شيئا يتجاوز الاوطان فيقولون بان الفلسفة من أمر الانسان والانسان هو هو فى كل مكان وزمان .

ولذلك لا استبعد ان ينعتنا بعضهم بالتعصب أو بالاقليمية قائلين : دعوا الفلسفة وشأنها اذ لا علاقة لها بالشخصية التونسية . ان هذا الموقف يعزى لاحد سببين او لكليهما معا :

أولهما غباوة حضارية تجعل مدعى الفلسفة « المجردة » يعتقد أنها متسامية عن الارض غير متقيدة بالحدود الحضارية والعوامل التاريخية والحال ان جميع الفلاسفة او على الاقل كافة عمالقة الفلسفة كانوا قوميين كاشد ما يكون الانتساب الى القوم ووطنيين كاعمق ما يكون التعلق بالوطن والتفاعل معه وكانوا عن حرمة شعوبهم مدافعين بصورة مباشرة او غير مباشرة . ولو استعرضنا الفلاسفة من عهد سقراط الى اليوم لا نكاد نجد فيلسوفا واحدا يدعى انه لا ينتسب الى أمة أو الى وطن بل ان الذين يعتنقون مذهبا ينشد الامية أو ينادى بشعار البروليتارية العالمية التى تتجاوز - حسب ادعائهم - القوميات يؤكدون فى حقيقة الامر الدور الثورى والطلائعى الذى يقوم به شعبهم فى بعث هذا المذهب « اللاقومى » . فلو اعتبرنا انجلس Engels مثلا فاننا نلاحظ انه نادى فى شبابه « بجرمنة » « بلجيكا وهولندا » أفليس ذلك ظاهرة امبريالية تجلت فى رسائل مفكر يعتبر من أعداء الامبريالية ؟ هذا مجرد مثال سقته لابين ان الفلاسفة مرتبطون بوطن احبوا أم كرهوا ، شعروا أم لم يشعروا ، وانها لغباوة او سذاجة او رياء من بعض المتفلسفين عندما يعتقدون أو يدعون ان الفلسفة فوق الاوطان وانها لا تتأثر بالظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية التى تنشأ فيها .

والسبب الثانى هو ان بعضهم يقصد بالامية وتجاوز الحدود الهيمنة على الشعوب المستضعفة من طرف شعوب وانظمة أقوى منها اقتصاديا او

عسكريا ... ومثال ذلك تلك الفلسفات « الليبيرالية » التى تدعى التعلق بالمذهب الانسانى فتحاول اقناعنا بان هناك ثقافة وحضارة مثاليتين ، هما حضارة الغرب وثقافته دون اعتبار للحضارات الاخرى وخاصة منها حضارات العالم الثالث وبصفة اخص الحضارة الاسلامية وهكذا نلاحظ ان بعض فلاسفة الغرب قد كيفوا فلسفاتهم بصورة تجعل شعوبهم يعتقدون بان لهم رسالة فى الحياة هى رسالة التمدين « والتنوير » والعمل على اخراج الشعوب الاخرى من الهمجية التى يدعون انها ترزح تحتها ويقصدون بالطبع شعوب افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية .

والسبب فى ذلك ان تكوين معظم المفكرين فى الغرب يجعلهم يتصورون ان اوربا هى قطب الدنيا . فاذا طالعت ما ألفوا فى الفلسفة او فى غيرها من فروع العلوم الانسانية لمست فى سطور مؤلفاتهم وفيما بين سطورها النزعة التفوقية والاتجاه الامبريالى .

لذلك يتعين علينا ــ نحن ابناء العالم الثالث بصفة عامة والعالم العربى والاسلامى بصفة خاصة ونحن التونسيين بصفة أخص ــ ان نمارس الفلسفة بعقلية « ما حك جلدك مثل ظفرك » وبالاقتناع بان الموضوعية المجردة أمنية تطلب فلا تدرك وان الفلاسفة بشر كغيرهم من البشر يتكيفون ويتأثرون بما يتكيف به ويتأثر عامة البشر ، ومعنى هذا انه يجوز لنا بل يجب علينا ان ندرس الفلسفة من خلال شخصيتنا الفردية والجماعية دون ان نتحرج من ذلك أبدا ودون ان نشعر بأى مركب ؟ لهذا وجب أن نعرف من نحن وما هى شخصيتنا وربما ساعدتنا الفلسفة على معرفة هويتنا كتونسيين وكعرب مسلمين ، وكذلك على معرفة مقوماتنا واوضاعنا الاجتماعية والثقافية وملابساتنا التاريخية وعلى تبين مثلنا العليا وما يواجهنا به الغير من مساع لابتلاعنا وهضمنا او على الاقل لابقائنا دائما فى حالة ضعف وتبعية لا نقوى على ممارسة الاستقلال الحق الا وهو الاستقلال الحضارى وليس لنا الا ان نستهلك الفلسفات والنظريات التى تتهاطل علينا من الخارج فتغرينا وتأخذ بألبابنا فنميل اليها وننساق معها فيصيبنا الاستلاب فنصبح ــ ونحن فى تونس ــ نفكر بتفكير الغير ونتنفس بانفاسه ونعتبر ان الكمال يتمثل فى ان نكون صنوا له ونسخة منه .

وبعد ان ذكرنا بايجاز بأهم خصائص الفلسفة ، وبررنا اختيار الموضوع

باثبات العلاقة بين الفلسفة وشخصية مريديها ننتقل الى تعريف بعض مقومات الشخصية الفردية والجماعية ٠

اما الشخصية الفردية فقد لمحت بعد الى الملكات التي تختلف بين الشخص والآخر والتي يتميز بها كل فرد من المجموعة المنتمية الى العائلة الواحدة والوطن الواحد ٠ فتتقابل بذلك الشخصيات وتتضارب تضاربا لا يبعث على الخوف اذ من الضروري ان يكون لكل فرد نظرته وموقفه وكيفية فهمه للواقع وأسلوبه وتمشيه فى طريق المعرفة والتحليل .

« والفلسفة فى كل ذلك تعلمنا في نطاق تكوين الشخصية الفردية والجماعية كيف ننفذ الى مفاهيم الاشياء ومضامين الكلمات ، ولعل اكبر سؤال فلسفي يلخص حقيقة الفلسفة سؤال سقراط « ماذا » ؟ Qu'est-ce-que ? اى ماهية الاشياء وماهية الكلمات والتصورات الذهنية التى نرددها او تتراءى لنا ٠ فيكون اول ما نحقق فيه ونتفق عليه هو مفهوم الشيء ومضمون الكلمة المستعملة وليس هذا بالامر اليسير ولا هو بالطبيعى/ ذلك ان الكثير من الناس يرددون الكلمات من دون ان يفقهوا معناها الحقيقى فينطقوا بالفاظ : التقدمية والرجعية ، والحرية والوطنية والقومية والتعصب والاصالة والتفتح والتعريب والثنائية اللغوية دون وعى كامل ولا سابق اتفاق حول مضمون المفاهيم.فيقول بعضهم مثلا : «انه لا يعارض التعريب ولكنه يرى فيه حرمانا للدارسين من تعلم اللغات الحية الاخرى » . والواقع ان المشكل قد وضع هنا بطريقة غير صحيحة . والصواب هو ان نبدأ بالاتفاق على معنى كلمة « التعريب » قبل أن نتجادل فى « قضية » التعريب ٠ ان التعريب يعنى تعليم المواد بالعربية ولكن هل يفهم من هذا الكلام انه يقصد فى نفس الوقت الغاء تدريس اللغات الاجنبية كلا وانما هي المانوية التى تصيب تفكير البعض او هى السذاجة وربما المعارضة المقنعة للتعريب من طرف من ليست لهم الشجاعة المعنوية لمواجهة الرأى العام القومى المتمسك باللغة العربية . اما ذوو النوايا الحسنة وهم الاكثرية الساحقة والحمد لله الذين يشفقون من حرمان ابنائهم تعلم اللغات الحية بسبب التعريب فيحق لنا ان ندعوهم لفهم حقيقة التعريب ومعناه قبل الحكم عليه ٠ وفى هذا الصدد يحسن ان نؤكد اننا لا نتصور درسا يلقى على التلاميذ فى غير لغتهم القومية وفى نفس الوقت لا نتصور تلميذا لا يحذق لغة او لغتين اجنبيتين ليتمكن من المضى بنجاح فى مراحل تعلمه والنفاذ مباشرة الى المصطلحات ومختلف فروع العلم والتكنولوجيا ٠

وهكذا يرفع الالتباس بعد الاتفاق على مفهوم الكلمة ويحصل الوضوح ويزول الخلاف ·

واذا تناولنا مسألة الحرية ـ وهي من القضايا الفلسفية الهامة ـ لاحظنا ان هذه اللفظة كثيرا ماتستعمل من غير ادراك لمفهومها الحقيقى ودور الفلسفة يتمثل فى تفسير معناها وكيف تظهر فى عدة مستويات فردية او جماعية وفى هذا المقام يجب التمييز بين الحرية الفردية والحرية الجماعية والظفر بصيغ مقبولة للتوفيق بينهما وكذلك وجب التعمق فى مقومات الحرية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتنبه كذلك الى ضروب الزيغ التى تلتصق عادة بالحرية والاشهار والدعاية والوسائل السمعية البصرية التى تخلق حاجات ليست دائما سليمة وضرورية او تدغدغ الغرائز او تثير الاطماع او تشجع على الاستهلاك فيكون الاستغلال او الفوضى بعنوان الحرية ···

واما فى خصوص الاصالة التى كثيرا ما ترد على الالسن فان البعض يعبر عن تخوفاته تجاهها فيحملها معنى التحجر والانغلاق · وفى هذا الفهم ما فيه من المغالطة لان ما قد تشكوه بلادنا ليس التحجر والانكماش بل ربما المبالغة فى الانفتاح على الخارج الناتج عن وضعنا الجغرافى وملابساتنا التاريخية مما يجعلنا نحذر من ضياع الذات وتلاشى الشخصية فنفكر فى ترسيخ البناء القومى وتوطيد اركانه مع فتح نافذة بل نوافذ على الشرق والغرب نتمكن بها من التحاور الخصب والتعاون الحر النزيه مع كافة الشعوب التى نتشارك واياها فى التمسك بالقيم الانسانية ·

وما دمنا بصدد تحليل دور الفلسفة فى توضيح المفاهيم أود أن أتناول فى هذا السياق قضية الفلسفة والعلم · ان العلوم الصحيحة تتمتع بثقة الجميع ولا تقبل نواميسها المناقشة لانها مدعمة بالبرهان العقلى او بتأييد التجربة والواقع الا انه نشأ عن هذا أن أعتقد البعض ان تقدم العلم سيجيب على كل التساؤلات التى تخامر بال الانسان فى حياته الفردية والجماعية · وانه سيزيل الحيرة وبما ان الفلسفة هى فى جانب من جوانبها تسلسل نظريات يهدم بعضها بعضا بينما الانسان لا يزال قلقا يبحث عن الحقيقة ويتوق الى اليقين فالسؤال الذى يطرح نفسه دائما هو : اين المذهب الذى سيشفى الغليل ويغنينا عن النظريات المتناقضة المتهافتة ؟ وكان من نتائج عقم الفلسفات وانتشار العلم واشعاعه فى أواخر القرن التاسع عشر وخاصة فى

النصف الاول من القرن العشرين اذ ذهب فريق من الفلاسفة الى الابتعاد عن البحث فى الماهيات والماورائيات وآثروا ان يقتصروا على البحث في «كيف» تحدث الاشياء والكف عن البحث عن اسبابها . ومعنى هذا ان «كيف» عوضت «لماذا» ...؟

وفى هذا الصدد يجب الملاحظة ان الفلسفة والعلوم يطرحان سؤالين مختلفين فالفيلسوف يتساءل لماذا يوجد الشيء أى أنه يبحث عن علته فى حين ان العالم يبحث عن ذلك الشيء كيف يوجد وكيف تتسلسل ظواهره . والفرق بين السؤالين هو ان سؤال العالم يجد عادة جوابا صحيحا مدعما بالاستنتاج العقلي او بالاستقراء التجريبي وان سؤال الفيلسوف يبقى دائما مطروحا .

وفيما يخص العلم بالذات لعلكم تعلمون انه كان يوجد سنة 1940 فى الدنيا قاطبة حوالى 100.000 عالم يبحثون فى مختلف العلوم وقد اصبح عددهم اليوم ثلاثة ملايين . وهذا ما يدل على تقدم العلم ونجاحه المنقطع النظير .

اما فيما يتعلق بالاكتشافات العلمية فان 90٪ منها توصل اليها علماء لا يزالون الى اليوم على قيد الحياة ومعنى هذا ان ما وقع اكتشافه فى خلال عشرات القرون السابقة لا يتجاوز نسبة 10٪ من جميع الاكتشافات . وهذا ما يدل على أهمية القفزة العلمية التى حصلت فى هذه الفترة المتراوحة بين الاربعينات والسبعينات .

لكن هل نستنتج من هذا كله ان العلم بهذا التقدم سيحل كل المشاكل ويجيب على كل التساؤلات الفلسفية وغير الفلسفية ؟ وهل سيشفى الغليل كما كان يتصور ارنست رونون وغيره ؟ هل دخلنا فى عهد العلم والوضعية كما ادعى ذلك اوغوست كونت ؟ كلا ، لان هذا التقدم العظيم الذى لاحظناه بدلا من حل المشاكل الوجودية والماورائية ربما تسبب فى خلق مشاكل فلسفية جديدة . وعلى سبيل المثال فان التقدم الحاصل فى السنوات العشر الاخيرة فى علم الحياة هو من الاهمية بمكان اذ توصل العلماء الى معرفة العلامات الوراثية التى هى بمثابة بطاقة التعريف الشخصية واصبحوا يتحكمون فى المكونات الكيميائية فاصبح بمقدورهم ان يتصرفوا فى تلك المكونات بحيث يتوصلون الى بعث اصناف جديدة من الموجودات فى عالم الحيوان والنبات . وهكذا نرى ان علم الحياة لم يكتف بمعرفة الواقع بل اصبح قادرا بواسطة التكنولوجيا على تغييره وهذا عظيم وخطير فى نفس

الوقت اذ من يضمن لنا ان نفرا من العلماء او السياسيين او المحتالين الذين لا عهد لهم ولا ميثاق سوف لا يحاولون تغيير خصائص الانسان البيولوجية فتسفر النتيجة عن ايجاد مخلوقات مشوهة غريبة لا علاقة لها بالانسانية وذلك بدعوى خلق نخبة من « العباقرة » « والاذكياء » فينتهى بهم الامر الى تغيير سحنة البشر . واذن فان العلم الذى نؤمن به هو ذاك الذى يوفر لنا حلولا لبعض مشاكلنا الصحية والاجتماعية والاقتصادية ويبقى عاجزا عن حل البعض الآخر وربما كان له ضلع فى تشعيب ما يجابهنا به الزمن من مصاعب.

وهذا ما جعل العلماء الاصيلين لا يزالون يكتبون الى اليوم ان العلم لم يتوصل الى حل جميع المشاكل فى الحاضر ولن يتوصل الى حلها باجمعها فى المستقبل ٠ وان العلم ميدانه محدود ومتواضع ، وان من ظن انه بالعلم يمكن حل مشكل الموت أو غيره من المشاكل الفلسفية فقد أهمل قصد العلم وتنكب عن غايته ٠

ولكى اربط موضوع العلم والفلسفة بموضوع الشخصية القومية ومصلحة البلاد السائرة فى طريقها الى النمو اسوق لكم هذا المثال البسيط الذى قد لا يعطيه بعضهم الاهمية التى يستحقها .

اطلعت فى مجلة علمية فرنسية صدرت هذا الاسبوع على حديث دار بين جماعة من العلماء والباحثين فى بعض المعاهد العليا يدرسون امكانية استغلال البيولوجيا النباتية فى تلقيح بكتيريا قادرة على الاحتفاظ بمادة الازوت بالاشجار التى لا تقدر بكتيرياتها على مسك هذا العنصر ولقائل ان يقول : ما علاقة هذا بالفلسفة ؟ ان العلاقة بينهما وطيدة ونستدل على ذلك بما أكده بعض العلماء من ان ما تستورده فرنسا من الاسمدة الازوتية الصناعية لا يقل عن مليونى طن فى السنة الواحدة ٠ وان ما ترجوه من باحثيها هو ان يجنبوها هذه التكاليف العظيمة والنفقات الباهضة ٠ وهو مسعى لا تنفرد به وحدها بل تشاركها فيه خاصة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى وأستراليا وبريطانيا العظمى ، التى رصدت كلها الاعتمادات ووفرت الامكانيات وقدمت التشجيعات للعلماء كى ينهضوا للبحث فى هذا الموضوع٠

واذا فكرنا مليا فى هذه الابحاث العلمية وما لها من التأثيرات على اقتصاد بعض الشعوب النامية وجدنا لها من العواقب ما لا تقدر مضرته ٠ وفيما يخصنا فان تونس كانت ضحية الاستعمار مدة 75 سنة استنزفت خلالها

ثرواتها ثم اتيح لها ان تحررت بفضل جهاد طويل وتضحيات جسيمة ٠ والآن وقد انطلقت تونس تبنى اقتصادها وترصد فى هذا المضمار مئات الملايين من الدنانير فى الصناعات الكيميائية تجد جهودها مهددة بهذه المساعى اذا ما كتب لها النجاح ونحن لا نناقش حق أية دولة من الدول فى تشجيع البحث العلمي فذلك واجب عليها بل وحتى فى مساعيها لجعل الاكتشافات العلمية تخدم اقتصادها وعظمتها ولكن نربأ بشبابنا ومثقفينا ان تنطلى عليهم حيلة « موضوعية » او « اممية » العلم وتبرئته من السياسة او الاقتصاد اى السمو به عن مصالح الشعوب «الضيقة» فلا مجانية فى البحث العلمي والمصالح القومية! إن هى في الواقع الا الدافع الاول للبحث والتفلسف! ومعنى ذلك ان الدول العظمى و «نصف العظمى» تسلك جميعها سياسة ترمى الى الابقاء على سيطرتها على الشعوب الضعيفة حتى تظل ابدا شعوبا مستهلكة لا تستطيع ان تنهض بنفسها فتستورد لا فقط البضاعة الاقتصادية ومواد الاستهلاك المادى بل كذلك القيم الثقافية والحضارية ولذلك وجب على شبابنا ومفكرينا وفلاسفتنا وبحاثينا ان يتذكروا هذه الحقيقة وان يضعوها نصب اعينهم وان يكفوا عن ترديد اغنية الفلسفة المجردة من المعانى والاهداف القومية المتسامية عن حدود الاوطان ٠

ولا تختلف تلك المحاولة من قبل الشعوب المتقدمة فى سعيها للظفر بوسيلة توفر لها بديلا للفسفاط عن محاولتها الجادة فى البحث عن طريقة لتعويض الطاقة البترولية بطاقات اخرى ذرية او شمسية او غيرها ٠ وهنا لا يسعنا الا ان نتساءل اين براءة التقنيات الناتجة عن العلم ؟ اننا نلاحظ بأسف انها لم تجعل لخدمة الانسان فى كل مكان ومهما كان لونه ومستواه الاقتصادى ولكن لخدمة شعوب بعينها دون اعتبار مهما كان ضئيلا لفكرة الاممية والشمول ، انى لا اقول هذا خدمة لاتجاه سياسى معين بل اهتماما بمستقبل اجيالنا القادمة ٠

ولهذا فان التفكير الفلسفي الصحيح بما يقتضيه من تكوين متين وثقافة اصيلة هو الذى بفضله نستطيع عندما نطالع مقالة كهذه التى اشرنا اليها ، ان نستقصى ما تضمنته سطورها وخاصة ما يوجد بين سطورها من مخلفات وارضيات واعتبارات ايديولوجية ٠٠٠ وان نستنتج منها ما يعيننا على تقدير الاشياء حق قدرها وادراك العواقب خيرها وشرها ، فنكون بذلك أقدر على النهوض بأنفسنا وبقومنا والتخلص من التبعية والنجاة من اطماع الطامعين ٠

واذن فانه يتحتم على مدرس الفلسفة ان يفكر تفكيرا صادقا عميقا متيقظا الى كل الملابسات والمعطيات يراعى فيه مصلحة الامة التى ينتمى اليها ويتبين به حقيقة المذاهب التى يطلع عليها ويتعرف الى مقاصدها ما ظهر منها وما خفي وذلك بصرف النظر عن آرائه الشخصية ومزاجه الخاص ٠

ان العلماء فى الدول المتقدمة تفرض عليهم برامج بحث تتماشى وحاجات البلاد التى ينتمون اليها ، اما نحن فى تونس وفى العالم الثالث عامة فنلاحظ بأسف ان بعض الباحثين يدرسون مواضيع تتصل مراكز اهتمامها بالواقع الأوربى الذى عاشوا فيه وتأثروا به وواقعنا مفتقر الى مزيد المعرفة ومحتاج الى من يعالجه بالدراسة والبحث ٠ وهكذا يظفر بثمار مجهودات جزء من نخبتنا غيرنا ونحن فى أشد الافتقار اليها . وليس ما نذهب اليه من قبيل الدعاية أو مقتضيات السياسة « اليومية » ولكنه مستوحى من أسلم مقتضيات الوطنية وانبلها اذ لا ينبغي ان نكون اقل حرصا على مصالح شعوبنا من الامم الاوروبية التى لا تخفى سلوكها الانتفاعى تجاه البلاد الضعيفة وموقفها التحيزى تجاه الاقطار العربية كما يظهر ذلك واضحا فى الاجراءات غير العادلة التى اتخذتها حكومات السوق الاوربية المشتركة مثلا فى توظيف الضرائب على زيت الحبوب وزيت الزيتون بالخصوص الذى يبلغ سعر الكيلو منه اليوم فى فرنسا والمانيا وغيرها ثلاثة او اربعة اضعاف ثمن الكيلو من الزيوت الحيوانية التى هى من انتاجهم ٠ وفى ذلك ما فيه من الضغط على المستهلكين لاجتناب زيوتنا وحماية اقتصادهم وربما تعجيز اقتصادنا .

هذا ومما يجب تأكيده انه لا ينبغي ان نخلط بين السياسة والوطنية ٠ واذا كانت السياسة فنا متحولا ونشاطا ظرفيا يستجيب الى اهداف ظرفية فان الوطن ثابت وباق،وقد تداولت على بنائه الاجيال تلو الاجيال وستساهم فى عملية بنائه اجيال اخرى كثيرة الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ٠ ولئن كان مفهوم القومية عرضة للانتقاد فى البلاد الغربية خاصة لانه يذكر بالنازية الهتلرية وما شابهها فان الوطنية مفهوم شرعى مقدس لا عيب فيه على الاطلاق ، وغاية ما يطالب به من ينادى بالوطنية هو حق التميز عن الغير وعدم الذوبان فى الآخرين ـ باعتبار ان له مقوماته الخاصة وحضارته الخاصة وأسلوبه وتفكيره الخاص ـ ولقد بان زيف الفلسفة منذ ان صاريستخدمها اقوام للتمييز بين الاجناس وتفضيل بعضها على بعض ويكفى لتأكيد ذلك ان نلقى نظرة على ما تتضمنه بعض الكتب والافلام لنلمس نزعة العنصرية والشعور بالتفوق عند بعض الاقوام ٠

تلك أمثلة سقتها لكم لابين لكم كيف ان الفلسفة تساعد بصورة مباشرة وغير مباشرة على تكوين الشخصية لدى الفرد المنتمى الى الواقع التونسى والقومى عامة ، ولم احاول الاستشهاد باقوال افلاطون او سارتر او ماركس للتأثير عليكم ولكنى حاولت التفكير بنفسى والاستناد الى ما استفدته ـ ولا ازال ـ من مطالعاتى ·

وقبل ان انتهى من الحديث عن الدين والعلم والفلسفة والتقدم بصفة عامة أود أن أسوق مثالا آخر يتصل بكتاب صدر هذه السنة وهو من تاليف السيدة « دنكوس » الاستاذة بجامعة باريس وعنوانه « الامبراطورية المفجرة » وتقصد بها امبراطورية روسيا وقد افادت الكاتبة انه يوجد الآن في الاتحاد السوفياتى ما يزيد على ستين مليونا من المسلمين لا يزالون متمسكين بدينهم رغم محاولات لينين وستالين وخروتشوف المتعاقبة للقضاء على شعورهم الدينى وان هؤلاء المسلمين لا يزالون الى الآن متمسكين بطقوسهم الدينية فى كثير من الامور كالولادة والختان والزواج وخاصة بالنسبة لمراسم الموت وذلك بالرغم من كونهم لا يلقنون فى التعليم الرسمى الا مبادىء المذهب الماركسى · وتفند هذه المعلومات ـ طبعا ـ ما ذهب اليه اوقست كونت وغيره من الفلاسفة من ان تطور البشر وتقدم العلم واتساع المعرفة تحكم كلها بتقلص الدين وتبشر بانسانية علمانية ·

وفى اعتقادى انه لا يمكن القضاء على الدين اذ كما ان العلم يجيب على اسئلة معينة فان الدين يجيب على تساؤلات اخرى : مصير الانسان ومأتاه ومعنى الحياة ولغز الموت وقد رأينا كيف ان عددا من الفلاسفة يتطورون فى تفكيرهم ويخرجون من صلفهم العلمى او المذهبى او الوضعى ويرجعون الى الدين ومن بينهم «روجى قارودى» وقد كان من اقطاب الحزب الشيوعى الفرنسى وماركسيا متطرفا وصاحب مؤلفات كثيرة تعكس نزعته الشيوعية ولكنه تطور تطورا فكريا عجيبا وتنكر للكثير من نظرياته السابقة واعتنق المسيحية فلم تكن الفترة الاولى من حياته الا مرحلة تعكس حماس الشباب ومثاليته وطموحه الى العدل المطلق الى ان حنكته الحياة وعلمته التجارب ما لم يكن يعلم فاكتشف الدين من جديد بعد ان كفر به فى سن المراهقة عندما ظن ان التقدم والعقل والتحرر تتنافى مع تعاليمه والمؤسف هو ان بعض الشبان وربما بعض أساتذة الفلسفة لا يزالون يستشهدون بكتبه الاولى التى طالعوها أيام تطلبهم من دون أن يعلموا شيئا عن تطور أفكار هذا الفيلسوف أو يطالعوا كتبه الجديدة . ولكنه التحجر والدغماتية أو الكسل العقلى !

ولقد اعترضت على احدى التلميذات وانا اعلق على درس فلسفي يمثل هذه المعاني في احد المعاهد الثانوية بالعاصمة بقولها : « اذن هل نشك في العلم ونحد من ثقتنا به ؟ » وهذا هو عين الخطأ ولعله ناتج عن كون بعض الاساتذة يقدمون نظرية كونت او اي فيلسوف آخر كما تقدم النظريات والنواميس العلمية الثابتة فيخيل للطلبة انه من الواجب عليهم ان يتمسكوا بها تمسكهم بالحقائق العلمية والنظريات الرياضية والحال انهم في مستوى فلسفي والفلسفة تعلم الانسان اساليب التفكير السليم ولا تضمن لهم سداد اية نظرية من النظريات . ولقد سألني سائل ذات مرة « ماذا استفدت من الفلسفة ؟ » فأجبته اني استفدت منها ان لا اتأثر بها ولا انبهر ببريق مذاهبها بل ان اسلط عليها نور العقل الذي يراض بدوره بفضل ممارستها واواجهها بالواقع الذي اسعى لعقله واستكناه اسراره والوقوف على ملابساته بفضل تكويني الفلسفي .

واريد اخيرا ان اثير موضوع الامة ومفهوم الطبقية . ان الذي يطلع على كتابات ماركس وانجلس ولينين يتجلى له بوضوح انهم يرون ان الطبقية هي كل شيء وانها محرك التاريخ وان الامة لا معنى لها وان انتصار الطبقة الشغيلة في العالم معناه القضاء على الامم والذي تكشفه الاحداث اليوم هو العكس اذ لم يعد تحرير الطبقة الشغيلة شرطا لتحرير الجماعة بل اصبح تحرير البلدان هو الشرط لتحرير الطبقة الشغيلة فيها ولو دعيت انا الى تدريس نظريات ماركس وانجلس في الطبقية لرجعت الى تاريخ تونس واستشهدت بالخصوص برأي محمد علي الحامي الذي ذهب الى ان تحرير البلاد من نير الاستعمار هو الشرط الاساسي لتحرير العمال من الاستغلال وان التمسك بجدل الطبقة الشغيلة التي كانت في تونس حينذاك خليطا من العرب والفرنسيين والمالطيين والايطاليين ... تمييع للذات القومية ووجه من وجوه الذوبان في الغير . وهو الموقف الذي جلب لمحمد على النفي من البلاد ، ولقد طال الخلاف في مستهل الكفاح الوطني بين الرئيس الحبيب بورقيبة وبين الشيوعيين اذ كانوا يؤيدون فكرة الكفاح الطبقي ويؤيد هو الكفاح الوطني لتحرير الشعب باكمله بكل اصنافه الاجتماعية ويتمسك لا بطبقية معينة بل بوطن تونسي عربي مسلم له خصائصه ومميزاته الحضارية كما يتمسك بالاعتقاد بان الحكم الوطني الديمقراطي النزيه كفيل بتجاوز التناقضات التي توجد او قد توجد بين مختلف الاصناف الاجتماعية وان الحكم الوطني العادل يحفظ لكل ذي حق حقه ويصون عامة المواطنين من كل

ضروب الاستغلال . ولقد كانت هذه هي الطريقة التى توخاها معظم زعماء البلدان الافريقية والآسياوية فى تحرير اوطانهم .

وهناك ملاحظة ختامية أسوقها لتحذيركم من التشبث بالنظريات الجاهزة ! وهى ظاهرة الحرب القديمة قدم الانسان . وقد فكر الفلاسفة وعلماء الاجتماع فيها وذهبوا مذاهب شتى فى تحليلها ومعرفة اسبابها ومن بينهم لينين الذى قدم بشانها تحليلا مفاده ان الحرب تشكل الخاتمة التى تؤول اليها القوى الامبريالية فى تسابقها لاقتسام الاسواق العالمية .

ويتوصل لينين الى هذه النتيجة لانه يعتبر الامبريالية بمثابة المرحلة الاخيرة للرأسمالية حيث يتجمع الانتاج الرأسمالى فيجتمع بذلك رأس المالى البنكى وراس المالى الصناعى ثم تاتى مرحلة التفكير فى كيفية استغلال ذلك المال فتتكون شركات احتكارية تنتشر فى انحاء الدنيا كالسرطان وتتكالب على استنزاف الثروات فيكون الصراع بينها فتشب الحرب وهذه نظرية معروفة لدى الخاص والعام ولكن اذا سلمنا بصحتها فكيف نفسر النزاع القائم اليوم بين الصين والفيتنام وبين الكمبودج والفيتنام وهى جميعها دول اشتراكية زالت منها كل ضروب الطبقية بعد انتصار البروليتاريا فيها انتصارا « مبينا » ألم يقل لينين فى « البيان » Le manifeste (1) ان تناقض الطبقات فى مستوى الامم يزول بزوال الامم ؟

وهكذا تعيننا الفلسفة على النجاح فى اعمال الجدل بين النظرية والواقع وادراك التناقضات وتجاوزها والكشف عن تحجر بعض المذاهب .

والفلسفة لا تستطيع ان تقاوم الفوضى الفكرية والتناقضات الا اذا توخت منهجا سليما ، ان الفلسفة هى السخرية من الجزمية والايمان الاعمى ، وإن سقراط أكبر ساخر استعمل الفلسفة لنسف المعتقدات البالية واليقينيات الساذجة وهو يقول : « المعرفة التامة ليست الا للالهة » . ومعنى ذلك ان الانسان لا يمكن الا ان يكون فى بحث متواصل وان الحقيقة كسب متجدد وجهد لاينى ويقظة مستمرة .

---

(1) « En même temps que l'opposition des classe au sein des nations, disparait l'antagonisme des nations » ?

وخلاصة القول انه على الطالب ان يسعى دوما حتى لا يكون وعاء حافظا ومستودعا لافكار الآخرين بل ينبغي ان يعمل فكره باستمرار وبشجاعة مستفيدا بما حصل له من الفلسفة .

ولذا فان آخر ما اوصيكم به هو ان تحاولوا تطبيق هذا المنهج فتضعوا على محك النقد ملاحظاتي التي حاولت بها ان اعرف الفلسفة واربط بينها وبين الملابسات الفردية والجماعية التي تكيفها الى حد بعيد وان ابين ما تتصف به من نسبية تدعو كل واحد منا الى الاجتهاد واعمال الراى من دون توان ولا غفلة والحذر من النظريات الجاهزة التي افرزتها ظروف تاريخية وخصائص حضارية ليست بالضرورة متطابقة ولا منسجمة مع ظروف كل واحد منا وخصائصه الحضارية وشخصيته الفردية والجماعية التي يحسن العمل على صيانة طرافتها واحترام مميزاتها .

تضاريس ماوراء الشمس

شعر : يوسف رزوقه

إني ألمصى أعلاه
فقير حتى آخر ذبذبة فى الآه
عشقت الحرف الفذ
وأقسمت بنبض الارض
على أن لا أعشق إلاه ،
وأبى إياه أحب وإنى لولاه
ما كنت أكون وما كانت عيناى ،،،
لكن ، ما معنى يغزو الافق سواى ؟
وأبقى مكتوف الرغبات
وملجوم الشهوات
تحن الى خنق الصحراء يداى ،،،

* * *

ما زلت أراك مديد القامة كالطاووس
ووجهك يجلس خلف سلال الورد
وحنق الرعد
وكنت عرفتك قبل طلوع الشمس
وكنت كرهتك بعد
وأنت كما الطاووس
ووجهك أطول من فستان عروس

* * *

خلف التفاحة أنت
وأنت تجاعيد وسماء أخدود
من علمك التوقيع على الصفحات السود ؟
من أغراك بتنقيح الاعصار وجعله طوع يديك ؟
وإنى شاذ عنك
وإنى شاذ منك
إلى أجل لا يذكر ... حتى تطلع أمواج الصحوة من عينيك ...

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

قرية صغيرة من قرانا الساحلية عشية يوم قائظ . فتى وفتاة من شباب العصر يسيران حافيين لم يبقيا عليهما الا القليل من الثياب ، واذا شاب من البلدة يختال فى بذلة قروية يترفق فى مشيته كما لو كان يطأ بساطا من حرير .

ويتلاحظ الشبان الثلاثة برهة يرمق بعضهم بعضا كأن قد ضل كل منهم طريقة أو وجد صورة من ذاته معكوسة .

★ ★ ★

من لى بالكلمة التى تشفى ظمأ القلب وتبدد مرارة القلق واليأس فينتعش الكيان توا ويخصب ، كأن قد تجددت خلاياه بعد وهن وذبول !!

★ ★ ★

رب كلمة تتلوها وكأنها الحبة المنفلتة من عقدها ضياعا وهوانا ... أو الورقة الميتة انفصلت عن غصنها دون وعى من الشجرة ولا مبالاة .

ورب كلمة كأنها قطرة من النغم تتجاوب أصداؤها فى قرارة نفسك بركة وسخاء .

★ ★ ★

رب امرأة تمتن على زوجها بعطائها لا ترضى بغير العقل والروح بديلا تكاد أن تستحل العرض والدم كما لو منحته رحيق الحياة أو أسكنتة الجنة قرارا !

★ ★ ★

غرفتي المسكينة التى حجب سماءها وأطفأ نورها الجاهل الغبى ... كأنها الحبيبة انتهكت حرمتها على مرأى ومسمع من خلها العاجز المقهور !!

★ ★ ★

منطق اليأس !

كذب القلب لا اعتبار عند البشر الا « للأنا » .

النسل خدعة ! والحب خدعة ! وكذا الابوة والامومة ! كل خدعة . كل يسعى لنفسه لا يلوى على شيء تسخرنا الحياة لمآربها ونتحلل بالعواطف والاوهام !

★ ★ ★

ليختر الفنان بين أمرين ليس منهما بد .. حياة وادعة هانئة عقما وتفاهة ، أو حياة الفكر والهم واليقظة الدائمة أسى وشقاوة !

★ ★ ★

الحكمة أنفس وأنبل وأوكد لحياة الروح من أن تزدرى أو تعاف بذورها المتناثرة من أفواه ألد أعدائها ، يدعون اليها وقد اتخذوها تجارة وسلما الى مآربهم الاثيمة !!

★ ★ ★

لؤم ولباقة !

تناول صديقى باقة الفل دون استئذان واستبقاها برهة يتشمم عطرها الفواح ، وكنا جماعة فى حفلة عرس ، واذا أحد الحاضرين ، وعلمت أنه أبو العروس ، يتسلمها من يده برفق فيشمها لحظة ثم يردها الى مكانها الاول من الطاولة فى صمت وبرود .

★ ★ ★

كلا ! لست بحاجة الى أن تجوب الارض طولا وعرضا .. وأن تلتهم ملء بطنك العلم كله لتكتشف جوهر الحياة وتكتنه معنى الوجود !

حسبك هذه الحركات المتواضعة المعدودة تقوم بها كل يوم تقبسها من نور فكرك نورا ومن حرارة قلبك حياة ...

حسبك هذا الافق المحدود لا يتبدل تبث فيه من حبك وايمانك فاذا هو عالم بأسره يسمو بك أعلى فأعلى .. الى المطلق .. الى اللا نهاية ...

★ ★ ★

آفة الفن التعبير فيه موته والحياة .

★ ★ ★

الطيبة عند أكثر الناس أن تتشبه بالحمير والكلاب والحملان فتتقاصر ليطأ الغير ظهرك أو تمد طوعا رقبتك للموسى أو تضرب وتموت بدائك صامتا !

★ ★ ★

حفيدتي الصغيرة حينما أتأملها وهي تلهو وتمرح وتفتن في لعبها تبدىء وتعيد ولا رتابة ولا ابتذال فرحا خلاقا.. ابداعا لا كلفة فيه... لكانني استقي منها الحياة عبا الى منتهى الرى وغاية الامتلاء فيضا لا ينقطع مدده ، فيغزر كياني ويخصب ويتمدد ويتسع حتى يطاول الزمن ويتحداه ويصبح أبدا لاحد له !

★ ★ ★

طالما ساء ظننا نحن المسلمين بأنفسنا ، ويئسنا من كل خير فينا حتى أنكرنا أن تكون لنا قيم بل أنكرنا أن تكون لنا ذاتية أصلا ، وحتى أصبحنا نصغى الى كلمة المنصفين لنا من مفكرى الغرب في سخرية ولا مبالاة ، كما لو كانت شهادتهم شفقة ورحمة .. عطفا مبالغا فيه ، أو تملقا لا مسوغ له !

★ ★ ★

لأن أكون انسانا بحق ، وان متواضع القدر بسيط الشأن خير من أن أعد عبقريا من عمالقة الفن والعلم عديم الكيس خلوا من التهذيب جلفا من الاجلاف لا أدب ولا أخلاق !

★ ★ ★

أى وزن بل أى معنى لسلطة أفرغت من معناها فلم تعد تقوى على فرض احترامها وتبرير وجودها واقناع الناس بضرورتها وجدواها ؟!

البشير المجدوب

في شرنقة الرفض

قصة: حياة بن الشيخ

حين لفظتنى أرحام أمى فى ليلة شنيعة فى أدغال الدنى ، مزق بكارة سمعى زئير مكهرب الصدى صفعنى بأحرف ملحدة المعنى نقشت فورا فوق جدران الخضوع والشقاء .. « ابتكرت مهزلة الانسان لتتسلى بها عرائس القدر .. تغرق سآمة فى دعاية اللانسان » ! صرخت جزعة وأنا أتخبط فى أكفانى الدامية المهترئة . بكر الليل ، والليل صديق . هرب القمر وبأحشائه ألغام تفرقع ، وصبابات تحترق ، تطمس أعين الكون برمادها القاتم .

تردد الصوت النائح فى الفضاء . ضحكت الطبيعة من الطفل الميت الحى الذى ما زال دم أمه يعمى عينيه بحزن عميق . سحيق . لكن الصوت ضاع فى رحاب المستحيل . الحياة سبيل الارواح الشاردة . والبقاء مصير من كان له الرفض جلادا ومقصلة .

لكمة على صدغي المتورم .. ابتلعت حنظل خيبتى ، واختنق الصوت فى سرداب حلقى .

تواطأ الله مع الزمن . جئت شبه انسان . عن عمد أم عن خطأ ؟ انما جئت فى يوم كان الدهر موثوق القدمين ، مصلوبا على رأسه تنزف مناخره سخطا .

جئت !!!

انتحب الليل لمجيئى زمجرت الملائكة ناقمة : « لابد أن تقتل . كفى الايام وباء !! ابتسمت الابالسة هازئة » لابل ستعيش .. الزمن جائع . القحط يهدده . والفناء يترصده . سلب جل ما يملك ، فهل سنسلبه آخر ما بقى له .. الغذاء اليومى ؟!!

قهقه الزمن وهو يبصر نى أتدحرج مرتقة الجسم لادفن فى سفح أشجانه . أيهفو البشر الى الفرار من مخالبى . هيهات ان يستجيب القدر . رصد الانسان

ليكون قبلة تسليتي . من لحمه غذائي . ومن عظامه جمراتي التي أتدفأ بها في الليالي الباردة .

عجز صوتي المذبوح عن الصراخ . ناحت الاحزان معي .. ألا بد من البقاء ؟ ألا بد من العذاب ؟

أبرق الرعد ساخرا : وما لدنيا من غير عذاب ثمرة لحظة هـوس وحمـق أيرفع الصوت من لفظته بؤرة الفسق والزنا ؟

بقيت أتأرجح بحبل عجزي المقطوع . عندها تف الاله في وجهي بكل اباء ، كلمة مسعورة الايقاع ، حصدت ما بقى من سنابل تسـاؤلي ورفضي « عيشي للعذاب .. له خلقت » .. وراح يخفي تشفيه وسط خيمة مثقوبة الضياء . ارتكن في احدى زواياها ليرمق من حين لآخـر عربـة النحس تجـوب بي دهـاليز العناء .

من يومها وأعضائي تحترق بخورا في مدفأة الزمن . من يومها ودمي يغسل منعرجات الوجود . يسقى أتربته العطشى . من يومها وجسمي ينسلخ كل يوم . يجرد من جلده . يفرم لحمه . يطبخ في فرن التعاسة يمكن ان يلتهم . دوما لا بد أن يلتهم !!

ينتزعني ملاك الليل . يرتق جلدي الممزق . يضمد جراح جسمي المسلوخ يسيل على عباءة حنان مراوغ . خبيث الطيبة . ارتشف ترياقه المسموم . أنام وساحرات الزيف يرتلن طقوس الموت في مأتم الحياة . لحظات رأفة . أجثو فوق صدر السراب . أرتقي سلالم الوهم هاربة من حوافر الحقيقة التي تدوس كياني .. تعلكني الساعات . أنام .. تزدرد الشمس الجائعة رغيف الليـل الاسود . لا تبقى منه فتاتة . يجلدني سوط الواقع المر . يسعل النهار في قوقعة مدوية . يعود الزمن يفتح فمه الابخر ، تصطك أسنانه ترقبا . وأعود أهيىء جسمي وليمة شهية لبطنه الجاحد النهم .

هتفت أنثى وهي تعلك ببلاهة أشلاء جيل مضى من الذل والخشـوع . « عشت دهرا سعيدة في قمقم الالم . أرتج تحت وخزات دموعي الباسمة . لم أسأل يوما عن نهاية مهزلة أعرف أنها ستطعنني بفظاعة أسرارها !! صهل شبه ذكر بغباء وجسمه قد تكور كقنفذ ميت حشر بمسامير القهر : « الحقيقة !! غرقت في يم خمسين دمعة ولم أسأل لم كان الليل ليلا والنهار نهارا ؟ لم كان الضعيف ضعيفا والقوى جبارا ؟ لم نتناسل ثم نموت ؟ لم تتـزاحم أكيـاس الذهب في درج جاري ؟ ولم أنا دوما خـاوي الجيب ؟ وكأن القدر حليفي ،

دثرنى بكساء الغباء والخمول .. اختطفت السعادة التى كان لابد أن أحظى بها مادمت مبقور الطموح ، مكسور العزيمة » .

خلق الانسان ليكون بضاعة تباع وتشترى فى سوق الوجود . حيوانات تقضى الدهر لاهثة خلف أعشاب تقتاتها . يمتلىء جسمها . يتضخم عودها . تتناسل . تتصارع . يفتك هذا ما بيد الآخر . يخنقه . يقضى عليه . يعتصر دمه ليبيعه خمرة معتقة الى شاربى الدماء .. يحرق العظام الباقية ، يتاجر برمادها . تشتريه جنيات الاسى ، يكحلن به عيونهن قبل أن يضاجعن الابالسة المتوقدة الرغبة .

لا بد أن يروح الجميع فى يوم ما وليمة دسمة لمارد الزمن ، ما دام من قبل أن تأتى قد كتب الله مصيرها فى خرقة سوداء ، بدم سفاح مجوسى ، أنها ستذهب قربانا للزمن .. أن تتلهى بنطحها قرون الزمن .. من العبث أن أتساءل .. ومن الجنون أن أصمت . من الحمق أن أقضى العمر كحصاة مفتتة تتقاذفها أقدام القدر بغبطة مفجعة .. ومن الجنون أن أركع لجلادى ولا أرفض.. ألعق تعسفه قانعة.. خرساء .. وعندما يتفاقم الجنون يكون اللاإنسان قد وصل الى ذروة التبصر الانسانى .. ويكون العقل قد ابتلعته شرنقة الحياة الجريحة ، المحتضرة بين أيدى الرافضين !!

أركله باحتقارى وسرب من الصقور العطشى تحوم حولى باحثة عن منهل تروى به غلتها . أفر بما بقى لى من قوة . الخلاء شاسع . الارض ضيقة .. رحيبة .. انها الابواب موصدة . والطرق مسدودة . التراب مبلل بالدمع تمور فى خفاياه أحلام افريقية مجهوضة ، وقد كانت بها النفوس حبلى بالاوجاع .

العجوز الشمطاء جاثمة فوق الثرى المشحون بالدمار كساحرة غجرية منبوذة . نار مستعرة الوهج تتراقص أمامها . قدر كبير قاتم اللون يغلى فوق الحطب المتوقد ، يشخر كثور يذبح بمدية صدئة .

« ضائعة . والضياع لحن ملحد .. رافضة والرفض موت مدمر .. » تخور بقهقهة ترتج لها أغصان الغابة العرجاء .. « هذه حقيقة العالم تطبخ فى القدر الكبير . مفاهيمها جافة ، متصلبة ، مريرة المذاق لمن كان الوعى رصيده . عذبة النكهة لمن كان الغباء والركود مصيره »

« المجاعة تحاصرنا .. والتشرد يطردنا ، ألهذا العذاب من نهاية ؟ »

« المجاعة وجهة الارواح المطاردة ـ المطوقة ، بسلاسل العسـف ، والقيم الزائفة.. والتشرد قبلة العالم المتحضرة ، الزاحف نحو العدم. لن تكون نهاية ما دام للبؤس والظلم فى كل يوم بداية .

« لقد اختلست الذئاب كل شيء .. لم تترك غير النباح للكلاب الجائعة ..»

« النباح نشوة من حصدته مناجل دنياه .. وعزاء من تشعبت مسالك خيره وشره » ..

أعود مدحورة أغوص فى فجاج الآلام ، والعالم المسحوق يلفظ أنفاسه فى ديجور مفاهيمه المطعونة ، ومبادئه الممزقة الخلايا .

أتمرن ثانية على العواء . أحاول خرق أغشية السماء السميكة . يزحف القدر نحوى . يقطع أسلاك صوتى النصف مذبوح . يكسر أشواكه . أبقى أتخبط فى متاهات الحزن . تنغرز أسنانه المذببة فى . أمد يدا متهشمة أجاهد فى اختلاس ولو سن منها . ينغلق فمه على يسد سبل القـرار . يلـوكنى . يلوكنى . ثم يبصقنى على الثرى عشبا طفيليا ، مالح الطعم كالدفلى الطازجة .

تلتقفنى أحضان رفضى المستعرة . أعود أبحث عن قبرى تحت سفح الايام العقيمة .. مفككة الاوصال ، يغلى صوتى بثورة لا لجام لها . أعود أنبح رافضة السير وسط قطيع « اللاإنسان » رافضة أن تنقش معالم قدرى فوق مستنقع يشحنه غثيان « اللاإنسان »

أصرخ .. أصرخ .. تتدلى كمامة من السماء ، سرابية الرؤية تختطفها يد لئيمة المسعى تربت فى حنان قاتل على كتفى . يلسعنى الدفء الفتاك الصقيع . يقفز قلبى فى صدرى ، يترنم بأغنية الامل الجنائزية . أبتهل الى الله .. ألثم الفضاء بأدمعى الجذلى . تغفو أحزانى لحظة ساجدة ، مترقبة . تنتهز اليد اللاذعة الحنان لحظات غفوتى لتلقى بالكمامة ، فوق فمى . تلجمنى . أحاول الزعيق . أزأر .. أعوى .. أموء .. يموت صوتى فى مقبرة حنجرتى .

يزم الزمن شفتيه مشمئزا ، ساخرا . تنتحب الايام لاهبة . يكشر القدر باسما مستمعا الى صوت الاله وهو يلقى على مسمعه للمرة الالف .. دعـابة الانسان فى مهزلة الحياة !!

يعود اللاإنسان يسير مكمم الفم بالقهر والحرمان .. مفقوء العينين مكسور القوائم . يسير فى أدغال الكون . يسعى . ويسعى . يقتات الهموم . يتغذى

الشجن . يتقاتل .. يتشاجر . ينهزم . ينتصر وينتظر شهية الزمن ليروح له وجبة ساخنة ، مفعمة بالذل والخنوع .

وتكون المهزلة قد انتهت . نزلت الستارة تحجب مأساة الانسان تخفى عن أعين الله معاناة اللاإنسان .

يندب قلبي في عويل أبكم . أضمد يدى المبتورة الاصابع . أتعلق بحبال أحزاني . أحاول الصعود الى السماء ، أختطف رفات عمرى من براثن القدر تلفحنى رياح متعفنة الشذى . يعتصرنى غثيان كافر . أتقيأ فوق أديمها الكالح ، القاحل التربة . تخرج الملائكة من مخابئها مزمجرة حانقة يتمنطق الجلاد هراوة ملتهبة . يهوى على رأسى . يدوسه فى التراب ليلعق القيىء المنهمر من ثغرى المفتت الشفتين .

تزوغ عيناى تبحثان عن الله لينقذنى من مخالب العدم . لكن الضباب كثيف ، والظلام متمرد السحب يحجبنى عن أعين الله . أبحث عنه . لا أجده . أظل الطريق . يهرول مختبئا . يتجاهلنى عن عمد لا عن خطأ !!!

تحيط بى آلاف الارواح الحاقدة ، تزغرد فى نشوة مفجعة النواح . أنقاد لعرسها الدامى . تلتف بى الابالسة النهمة ، تمزق فستان عرسى القاتم . تتسلق جسمى عنوة تنهش أنوثتى غصبا . تنتزع المتعة منى قصرا . تنقش وشمها فوق نهدى المحترقين .

أصفعها . أخرمش وجهها باظافرى . لكن أصابعى مبتورة . مكسورة الاظافر تركلنى ثائرة بعد أن كومت بقايا أنوثتى ، لترمى بها لكلاب الجحيم تنهشى فتاتها . تمتص ما بقى منها من رحيق .

تلقى بى على الرصيف الموحل . يتفتت رأسى . يسحق كحفنة تراب جافة . أعود أجرى عبر مسالك الوجود .. أسائل عذارى الدجى ، هل وجدن أشلاء ذاتى ؟ هل رأين شظايا رأسى المتحطم ؟

تعانقنى الاشجان مواسية « سعادة اللاإنسان هى أن يجهل حقيقة الانسان. يبقى بلا وعى .. بلا عقل .. بلا تخمة تفكير . ان وجد نفسه يوما ، أضاع ذاته تحت ركام تعاسة اللاإنسان »

أظل أبحث وأنا أخشى أن أجد نفسى . أخشى أن يزج الدهر بى فى حضيرة اللامعقول ، مع قطيع ماشية الانسان ..

أمتطى جواد الهموم المتناحرة حولى . أصرخ بصمت .. متى يستفيق اللاإنسان ؟ الى متى تبهر عقولنا الصدئة دعابة الانسان ؟

أرفُض . أندب . ولا من مجيب . الحمير ما تزال ناهقة ، تبحث عن حشرات تدوسها بحوافرها . وأشباه البشر يتقابلون . يتنازعون فى الصباح ، ليتصالحوا فى المساء . يبتسمون . يلثمون الوجوه علانية ، ويجلدون بعضهم بعضا فى الخفاء .

يتسابق هذا لتسلق هامة الآخر كى يصل قمة جبل متهدم ، ملغم الاحشاء ينحنى لحظة لتناحرهم ، ثم يلفظ فجأة نيران براكينه يلتهم الكل . تنسفهم مجانيق القدر الازلية ، بعد أن عاشوا دهرا للغباء والجشع مطية .

وأنا دوما أتعثر فى حظيرة الدنى مشروخة المعالم ، أبحث عن الحقيقة . عن مقر تحت خباء الفضاء الممزق . ترمقنى مقلة القدر الغاضبة . ترجمنى لعنة الملائكة الساخطة ، وصوت الرياح يلطم أذنى .. يا عالم الموؤودين الضائعين أما سمعتم معزوفة الغضب ؟

أما مارستم نشوة الرفض ؟ أما علمتم أن مناشدة الحقيقة ضرب من الخبل والعدل درب من دروب الفناء والاضمحلال ؟؟

يعصف البكم ، يقصم الرقاب . يقصم الاعناق .. يذر بقية غبار انهيارى ورفضى ويكون الله بعد أن انساق لخرافة الحياة ، اجترفته مهزلة الزمن فى معترك القرف والملل ، قد نسى فى تخمة اللا مبالاة والسأم أسخف نادرة عرفها الوجود .. وأمر علكة لا تفتأ تجترها وحوش القدر .. حقيقة الانسان .

يعود الى سباته وقد ابتسم لحظة للمهزلة المؤلمة ، انما حتما لن تهمه فى شىء بلاهة أطوارها .

متى اهتم الله بقصة تافهة ، ميتة المعانى . مقتولة المغزى عنوانها .. « مأساة الانسان .. فى عالم اللاإنسان !!! »

حياة بن الشيخ

النقد العربي والمناهج الأجنبيّة

بقلم : أحمد الطويلي

مر النقد العربي منذ القديم بمراحل عديدة واطوار مختلفة ، وارتبط ظهوره بمكانة الشعراء منذ العصر الجاهلي اذ كان للشعر دور كبير في الدفاع عن القبلية وتمثيلها في الاسواق التي كانت تعقد بالجزيرة العربية .

وكان النقد يتمثل في آراء عفوية موجزة وفي احكام ذاتية تأثرية غالبا ما تكون بنت وقتها تتعلق ببيت او كلمة او صورة لكنها غير مدعمة بتبرير منطقي وتعليل عقلي .. وقد أورد هذه الآراء النقدية المختلفة ابن سلام الجمحي والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم وساهم بعد ذلك الرواة والنحاة وفقهاء اللغة والمفسرون والادباء ومختلف المصنفين علماء البلاغة في تركيز هذا الفن ونخص بالذكر منهم مؤلفي كتب الطبقات الذين ساهموا في بلورة هذا الفن بتوزيع الشعراء والادباء توزيعا جغرافيا او زمانيا او دينيا وخاصة حسب الجودة والاتقان أو مختلف الاتجاهات الادبية .. ونلمس في هذه التآليف حسا نقديا بارزا ومناهج أدبية مضبوطة ، اذ جمع أصحابها وبوبوا وفسروا وعلقوا ولاحظوا ..

ونرى النقد العربي منذ القرن الرابع الهجري قد وصل الى اوجه بفضل المعارك النقدية التي قامت حول شعراء معينين ، والخصومات والموازنات العديدة والكشوف عن المساوىء والمحاسن لدى شعراء كابي تمام والبحتري والمتنبي ولم تكن هذه الوساطات خاصة بهؤلاء الشعراء وحدهم وانما كانت تجسيدا لطرق أدبية متطورة وتطبيقا لاصول فنية نقدية واضحة اذ ارتكزت على تحليل علمي ومقارنات دقيقة بين أبيات متماثلة أو صور بلاغية واحدة أو متشابهة اذ كانت هذه التآليف تخضع لقواعد ادبية منهجية امتزج فيها التفكير والتدبر والفهم بالتذوق والتأثر والاندفاع الذاتي واختلط البحث عن اللغة والدقائق الفنية بالتساؤلات عن المعنى والاغراض وتاثير بعضها في بعض .

ونذكر من المؤلفين فى النقد قدامة بن جعفر الكاتب وكتابه « نقد الشعر » الذى تتجلى فيه نزعة نقدية تقوم أساسا على التمييز بين الجيد والردىء لكنها ترتبط ارتباطا وثيقا بعلم البلاغة بالرجوع الى اهمية المعنى فى الاصناف الكلامية المختلفة . ونلاحظ فى هذا الكتاب تخطيطا منطقيا وتصميما هندسيا يرجعان الى تاثر قدامة بالمنطق اليونانى وصناعة الكتابة وولعه بتفكيك الكلام وتقسيمه الى اقسام . فنجد النقد عند قدامة ثم عند ابن وهب فى كتابه : « نقد النثر أو كتاب البرهان فى وجوه البيان » ثم عند حازم القرطاجنى فى « المناهج الادبية » قد تاثر تاثرا بالغا بعلم المنطق وعلم الاخلاق والجدل الذى يهدف الى اقامة الحق بالبرهان والادلة ...

وينطلق الخط البيانى للنقد العربى انطلاقا باهرا لنراه بعد ذلك ينحط ويهوى الى اسفل الدركات بعد ازدهاره وارتفاعه الى اعلى القمم اذ بات النقد فى القرون الوسيطة بمفعول تدهور الفكر العربى ملتصقا بالمناقشات اللفظية وبنظرة ضيقة للادب والفن لا تتجاوز الشكل النحوى او الخطا العروضى وكان المثل الاعلى فى المقياس الادبى هو النمنمة اللفظية والتلاعب الشكلى بالجمل والكلمات .

وتاتى المرحلة الاخيرة للنقد الادبى العربى منذ نشاة الطباعة والصحافة الادبية فقد تلقح النقد العربى بعوامل عديدة منها كثرة الملاحق الادبية للصحف وتعدد المجلات الثقافية الادبية التى ساعدت على ابراز اهمية النقد واشهار اعلام فى دنيا الادب بالاختصاص النقدى نذكر منهم على سبيل المثال المازنى والعقاد وطه حسين فى مصر والشابى ومحمد الحليوى وزين العابدين السنوسى بتونس .

لقد ارتبط النقد عضويا بالصحافة الادبية وتأثر بقوالبها شكلا ومضمونا فاتسعت افاقه بما دخله من افكار غربية جديدة ، فبعد ان كان المقياس الادبى هو التقليد والخضوع التام للاساليب العربية القديمة والاغراض المدح والهجاء وغيرهما صرنا نشاهد خليطا من النزعات ومزيجا من النظريات والاراء ناتجا عن هضم سيء لافكار نقدية مختلفة واحيانا متناقضة واردة من انكلترا أو فرنسا ـ فترى هؤلاء النقاد فى المشرق او المغرب يقتبسون الكثير من المدارس الغربية نابذين المناهج العربية القديمة بل ثائرين عليها بل كانت الثورة على الاسس النقدية العربية والاساليب النثرية والشعرية هو الطابع المميز لهذا النقد العربى المتاثر بالتيارات الواردة من الغرب ويتهم المازنى النقد العربى

القديم بالقصور والضيق والرداءة فيقول (ص 201 من حصاد الهشيم الطبعة السابعة . مصر 1961) : « لا ترى عليه (النقد العربى) طابع العقل وميسم التفكير كان يكتبها انسان وهبه الله عقلا وفهما وفؤادا ذكيا وذهنا يتفكر وقلبا يتدبر » ويقول فى موطن آخر (ص 217 من نفس الكتاب) : « فلا شك انهم (العرب) لم يكونوا من سعة الروح بحيث يفطنون الى جلالة الشعر ويدركون ماهيته وحقيقته وعظم وظيفة الشاعر والا كانوا انصرفوا عن هذه السخافات التى أولعوا بها ولتناولوا من الاغراض الشعرية ما هو اشرف من المدح وانبل من الهجاء » .

وقد تهجم الشابى على الروح الادبية والخيال الشعرى عند العرب وحكم عليه مثلما حكم المازنى « بضيق الروح والخطيرة والعجز عـن التصـرف » (ص 219)

« ويقول المازنى ايضا عن العرب متهما اياهم كذلك بفساد الذوق والشطط الفكرى (ص 201) »

« كتاب العرب ومؤرخوهم قصروا فى ترجمة شعرائهم وكتابهم وعلمائهم وعظماء رجالهم بالمقارنة بكتاب الغرب ومؤرخيهم .. »

وهكذا نكتشف نقطة البداية فى نقد هؤلاء ، والمازق الخطير الذى ترددوا فيه وهو الثورة الجذرية على القديم ورفضه رفضا باتا مهما كانت قيمتـه ولئـن كانوا يعتبرون طلائعيين فى عصرهم فانهم قد اساؤوا للنقد بقدر ما احسنوا اليه . اذ لا ننكر عليهم حيرتهم الفكرية وجهادهم الادبى رغم تقليدهم الاعمى للادب الغربى فى نظرياته واتجاهاته محتوى وشكلا ويلاحظ نفس هذا الامر الاستاذ الدسوقى فى كتابه : « فى الادب الحديث » (ج II ص 206) فيرى ان هؤلاء النقاد « تركوا تقليد الادب العربى ليقعوا فى تقليد أدب غربى وفى تقليد شاعر بعينه ودعوتهم كانت جريئة فيها كثير من القضاء على مقـومـات الادب العربى واللغة العربية ولقد حاولوا ان يوجدوا لهم انصارا من مصـر وجهدوا فى استمالة المجددين فى الشعر من المصريين الخ »

ولا نستغرب نحن هذه النزعة من النقد الادبى العربى فى الثلث الاول من هذا القرن ذلك لان هؤلاء النقاد قد انكبوا على الاداب الاجنبية يكرعون منهـا كرعا فكان المازنى « يقرأ مع الشعر نقد الشعر وتاريخ الادب فى كتب النقاد المتازين والمؤرخين المأثورين واحبهم اليه هازليت وأرنولد ماكولى وسيسبرى وطائفة من كتاب المقالة الادبية والعجالة النقدية الاجتمـاعية أمثـال لى هنت

وشارلزلمب وسويفت واديسون ، واحب الروائيين اليه نخبة من فحول الرواية كوالترسكوت وديكنز وثوكرى وكنجزلى » (انظر العقاد مقدمة ديوانه بعد الاعاصير) .

واقبل العقاد كذلك على مثل هذه المؤلفات ينهل منها نهلا وظهرت فى كتاباته اسماء هؤلاء وغيرهم مثل ماكس نوردو ولمبروز لسنغ ونيتشه وقد بدا العقاد بقراءة الادب الانكليزى قبل سنة 1903 وهو بعد تلميذ بالمدرسة الابتدائية باسوان اما طه حسين فقد أقبل على الادب الفرنسى والنقاد الفرنسيين اقبالا ومكنه حضوره فى مونبولية بفرنسا سنة 1914 من دراسة اللغة الفرنسية وعلم النفس والادب الفرنسى والتاريخ الحديث ومكنه كذلك حضوره بباريس سنة 1915 من دراسة اليونانية واللاتينية والتاريخين اليونانى والرومانى والتاريخ الحديث ودراسة علم الاجتماع على يدى اميل دوركايم الذى حضر تحت اشرافه رسالة عن الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون وحضر خاصة دروس الاستاذ لا نسون فى الادب الفرنسى ودروس ليفى برول عن ديكارت ، ومنهجه .

اما الشابى فلم يكن يتقن الفرنسية فانكب على الترجمات الواردة من المشرق والتى نجد صداها وذكرا لها واستشهادا بها فى محاضرته « الخيال الشعرى عند العرب » ، ونلاحظ ان تونس فى عهد الشابى قد ازدهرت فيها الحركة الثقافية والادبية والنقدية ازدهارا كبيرا بفضل انتشار الصحف والمجلات وكثرة الشعراء والادباء المجددين وكانت الحركة النقدية نشيطة ذات وجهين مسايرة لحركة المشرق من جهة واتصال مباشر بينابيع الثقافة الفرنسية عن طريق المطالعة (نذكر الحليوى مثلا وهو يمثل الوجهين ..)

ولعله يحسن ان نلاحظ ان حياة هؤلاء النقاد قد تميزت بالشقاء والمعاناة والكفاح وقد دفعتهم وضعيتهم الاليمة ومنزلتهم البشرية المكبوتة اجتماعيا وسياسيا الى الالتجاء الى عيون الادب والنقد الغربيين يستقون منها غذاء فنيا وأدبيا ثم الى الركون من جهة اخرى الى شعراء وأدباء عرب قدامى عانوا فى حياتهم مثلما عانوا هم فنرى العقاد والمازنى يحللان نفسية ابن الرومى وكانهما وجدا به صدى لنفسيهما ونرى طه حسين يلتجىء الى المعرى يكتشف فيه ذاته وهم قد بالغوا فى الاقباس الاعمى من النظريات النقدية الغربية اقتباسا لعله لا يتماشى مع التراث الادبى العربى ولا يطابق وضع الانسان العربى ولا يخدم مصيره لذلك نتساءل عن مدى تأثيرهم فى الاجيال الناقدة اللاحقة ؟..

فطه حسين طبق اراء غربية غريبة على القرآن والشعر الجاهلى سرعان ما تخلى عن بعضهامتراجعا وذلك عندما اصطدم بواقع المجتمع العربى المسلم ..

وهو يطبق كذلك بغرابة نفس الطريقة عن ابن خلدون ومقدمته فى أطروحته فى علم الاجتماع المذكورة آنفا .

ودعا شعراء المهجر ونقاده من جهتهم الى التحرر من تقاليد الادب العربى مبنى ومعنى ودعوا الى ان الحياة والادب توامان لا ينفصلان وثاروا ثورة عنيفة مما دعا جبران الى ان يصرخ « لكم لغتكم ولى لغتى » واعتمد العقاد والمازنى الخلفيات التاريخية والجنسية والبيئية وتصوير البواطن النفسانية ويمكن ان نرجع النظريات المقتبسة من المدارس العربية الى خمس نزعات مزجوا بينها والتزموها كلها وهى :

1) تفسير الاثر الادبى بالجنس والوراثة
2) تفسير الاثر الادبى بالبيئة والفترة التاريخية
3) تفسير الاثر الادبى بالمنهج النفسانى وبالتحليل الباطنى
4) تفسير الاثر الادبى بالاعتماد على النص وحده
5) النقد التاريخى الخارجى

وانه لمن السهل ان نضرب الامثلة لهذه النزعات التى يمكن ان نجد اثرها فى اثر واحد ويمكن ان نكتفى بمثال واحد وحتى بفصل واحد للدلالة على هذا الاتباع الاعمى بدون اختيار ولا انتقاء وسنحيل على كتاب حصاد الهشيم « للمازنى وخاصة على فصله عن ابن الرومى مع الاشارة الى وجود نفس هذه الاراء عند غيره من النقاد »

1 / تفسير الاثر الادبى بالجنس والوراثة

يرى المازنى ان الجنس عامل فعال فى نبوغ اى اديب فيفسر بهذا الراى نبوغ ابن الرومى فتؤديه هذه النظرية الى الادعاء بان المنزلة الاولى فى الشعر والنثر العربيين كانت لقوم ينتهى بنسبهم الى غير العرب من مثل بشار ومروان ابن أبى حفصة وابن الرومى ومهيار الديلمى وابن المقفع وابن العميد والخوارزمى والهمذانى ويتدرج المازنى الى فكرة خطيرة عنصرية وهى ان الشعوب الآرية افطن لمفاتن الطبيعة وجلالة النفس الانسانية وجمال الحق والفضيلة .

ويرى المازنى ان للوراثة اثرا لا يستهان به فى تركيب الجسم واستعداد العقل لذلك ورث ابن الرومى وهو الارى الاصل (؟) الفارسى اليونانى كثيرا من شمائل قومه وصفاتهم وهو فى نظر المازنى اقرب الى شعراء الغرب وبهم اشبه (ص 220) اذ انه « لم يكن عربيا ولا شبيها بالعرب » (ص 238) ويرى اذن (ص 241) ان رومية ابن الرومى هى مفتاح شعره ونفسه ولا سبيل الى فهمه وتقديره بغير الالتفات اليها والتنبيه الى ذكرها .

2 / تأثير البيئة والفترة التاريخية فى الاثر الادبى

يقول المازنى (ص 210) بان العظيم لا يظهر الا اذا كانت الحاجة اليه ماسة والافتقار الى مثله شديدا وانه لو لم تلد آمنة محمدا لولدته غيرها من نساء العرب ، ولو لم يهرب شكسبير من بلده الى لندن لنبع من غيره مثل هذا الشعر الذى يقرا له اليوم .

ويفسر المازنى كل اثر ادبى بحاجة العصر اليه اذ العصر يخلق الاديب الفنان ويقتضى العبقرى الفذ ويطبق المازنى هذه النظرية على ابن الرومى ذاته فيقول (ص 38) : ان ذلك ما انتاب الشاعر فى أواخر الحرب فى ابان الحوادث المصرية الاولى من الشك والغيظ اللذين رجا عنده كل قواعد الرأى وشوها كل حالات الوجود الانسانى فاقر عنده (أى العقاد) ان الحياة كما قال سليمان الحكيم بعد تجربتها : قبض ريح وباطل الاباطيل ...

ان ذلك ما انتاب الشاعر فى اواخر الحرب فى ابان الحوادث المصرية الاولى من الشك والغيظ الذين رجا عنده كل قواعد الراى وشوها كل حالات الوجود الانسانى فوقر عنده (ابن العقاد) ان الحياة كما قال سليمان الحكيم بعد تجربتها قبض ربح وباطل الاباطيل ...

3 / النقد النفسانى

اننا نجد تعابير كثيرة من لغة علم النفس فى كامل النصوص النقدية للمازنى والعقاد خاصة مثل كلمات الانا والحالات النفسية الواعية الخ اذا اعتمد هذان الناقدان خاصة المنهج النفسى فى دراسة بعض الشخصيات واغرقا فى التحليلات النفسية والابانة عن الطبيعة البشرية عند بعض الاشخاص وتصوير

بعض المظاهر الشاذة فى النفس كالنرجسية والاشتهاء الذاتى والتوثير الذاتى ولوازم التشخيص والعرض الخ ...

وقد تتبع المازنى اطوار حياة ابن الرومى وبين ان اختلال جهازه العصبى عامل مهم لتفسير شعره فيمثل ابن الرومى فى نظره نموذجا للعقد النفسية وفقدان التوازن والاضطراب العصبى واختلال الحواس يقول عنه (ص 249) : « لم تسلم اعصابه : توازنها مختل مضطرب ، جهازه العصبى كان غير منتظم ويدل على ذلك موت ابنائه الثلاثة ومراثيه لهم وكان احساسه بالجنس حادا وكان متطيرا » والغريب ان المازنى يطبق المنهج النفسانى على القدامى مع وعيه العميق بانه يصعب « على الناقد الذى تأخر به الزمن أن يجرى احكاما يأخذ من آراء فى الادب عامة والشعر خاصة على قوم طوتهم الايام بخيرهم وشرهم وتغيرت الدنيا بعدهم » ص 264

4 / الاعتماد على شعر الشاعر او النص الادبى

قد اعتمد المازنى وكذلك العقاد هذا المبدا النقدى ايضا لاستخراج الصورة الادبية الكاملة للشاعر او الاديب من خلال النص وحده وفى هذا الصدد نجد وحدة الاثر الادبى تحتل مكانة مهمة فى هذا المنهج اذ فى الانتاج الكامل لاديب ما هو الذى يمكن من استيفاء صورة كاملة صادقة عن هذه الشخصية وبيئتها وعصرها . ونرى العقاد يهتم بصورة خاصة بالنفسيات والحياة الباطنة يستنتجها من النص وقراءة لمقدمة كتاب « حياة ابن الرومى » كما تؤخذ من معارضة اخباره على شعره (ط بيروت 1970 ط 1) تبين هذا المنهج المطبق على الادب العربى اذ يرى العقاد ان كل شعر او ادب انما هو صورة لنفس صاحبه وان كل ديوان او اثر ادبى هو ترجمة ذاتية بحتة ..

5 / النقد التاريخى المنهجى :

نجد المازنى ينقد فى دراسته للمتنبى مصادر بحثه ويمحص مختلف الروايات الواردة عنه ويبين اسباب وهن بعضها ويستخدم طريقة الشك فى اشهر القصص التى جاءت عنه مشهورة ببخله (ص 151) نلاحظ اذن ان هؤلاء النقاد قد مزجوا بين نظريات مختلفة وآراء تبدو احيانا متناقضة ولم يتتلمذوا لمدرسة واحدة فجاء مذهبهم النقدى باهتا لقيطا من تيارات متعددة .

الا اننا رغم هذه الملاحظة نعتقد انهم كانوا علامة هامة فى تطور النقد الادبى العربى من النصف الاول من القرن العشرين ولا جدال فى انهم قد جددوا النقد واحيوه بعامل ثقافتهم الواسعة واطلاعهم العميق ولتكوينهم المتين وكانت فى نقدهم رغم المآخذ العديدة التى يعاب بها طرافة ومسحة خاصة تدلان على وعى للعصر ومتطلباته وفطنة لدور النقد وحقيقته وأهميته وتأثيره فى الحياة الفكرية الحضارية العامة ..

لكنهم كانوا بحكم ملابساتهم الخاصة وبمفعول ظروفهم الاجتماعية والسياسية والمرحلة التاريخية التى مروا بها قاصرين كل القصور عن خلق منهج ادبى عربى اصيل خاص بهم .

لقد تجاوز عصرنا مناهجهم النقدية الخليطة والمضطربة تجاوزا كليا (انظر النقد الاخلاقى عند المازنى لرواية غادة الكاميليا ص 90 يقول : لسنا ممن يوافقونه (دوماس) على فكرته التى بثها فيها وانشأها لاجلها ولا ممن يحمدون هذا النوع من الحب الذى يذوى النفس ويعصف بالرجولة وينسى المرء فرائض الحياة « ونلاحظ خطر هذه الرواية على الاخلاق يقول ص 90 » ان هوى ارمان ليس فيه شىء مما يعجب الرجولة ويقع فى محل القلب ذى القوة » .. ونتساءل اليوم عن حقيقة النقد ودور الناقد فى مجتمعاتنا الجديدة فهناك من يقول ان النقد فى بلادنا كسيح مشلول وهناك من يقول انه اهوج مافون واخرون يرون النقد فى بلادنا مصابا بداء التعصب والتحامل لا يكشف الا الاخطاء الخ ..

ولتسمحوا لى ان اتقدم ببعض الاراْء عن النقد والناقد التى استقيتها من تجربتى كناقد للخصائص النظرية للنقد ودوره الفعال فى المجتمع والحياة الثقافية عامة ..

فالناقد هو الذى يستطيع ان يدرك ما تاتى به الاثار الجديدة من جديد ويحس بالتطور الفنى الذى يتضمنه المولود الجديد فيقيمه متلقيا هذه النسمات العليلة التى تهب من صفحاته وسطوره متفطنا اليها شاعرا بها مكتشفا عنها متجاوبا معها التجاوب العميق ، ويشعر بمعاناة الاديب الخلاق النفسيه والتجربة الفنية اللتين كانتا الغرض والحافز والغاية .

والناقد هو الاذن التى تعرف كيف تنصت الى ارتعاشات النفس والى النغمات الجميلة الاخاذة التى يعزفها قلم الاديب الفنان فيدرك بذلك دور الاديب

ويعى الوظيفة الانسانية والاجتماعية التى يقوم بها ويفهم رسالته التى ترمى الى توسيق مدارك الفكر وارهاف المشاعر والترويح عن النفس وتهذيب الحواس والتبصير بالواقع الزمنى ومشاكل المجتمع الجوهرية الانسانية .

والناقد هو الذى ينزل الاثر الفنى منزلته الفنية اللائقة به محللا اياه موضحا مؤولا له اى اياه الى سر انبعاثه ووجوده .

وهو اذن امتداد للكاتب فيكون خلاقا من نوع خالص وبدونه لا يمكن للادب ان تحلو له الحياة ... فهو ضرورى بمثابة الماء والهواء والطعام لكل فم ...

فالنص يبقى لغزا حتى يحله الناقد ويكشف عن سره فنرى الناقد بالمرصاد لكل منتوج ادبى او فكرى او فنى جديد يحلله ويضعه موضعه وسط التيارات الادبية والاتجاهات الفنية والمدارس الاسلوبية والنزعات اللغوية المختلفة وخاصة الخصائص الانسانية الروحية والوجودية او العاطفية البحتة ..

فولادة اثر أدبى جديد شعرا كان أم قصة مسرحية كان أم أى نص فنى اخر من شانها ان تعتبر حدثا هاما وخطيرا فى حياتنا الفكرية والادبية بل فى حياة الفكر واللغة والادب والفن بل اكثر من ذلك فى حياتنا العامة بوجوهها كلها .. أليست غاية الادب الانسان وروحه الانسان ودوافعه الانسان ؟ واذا لم تكن للادب هذه المعانى الانسانية السامية بات خاليا من أى قيمة ومن أى بعد أدبى تاريخى مصيرى ..

لذلك ينزل الناقد الاثر الفنى الادبى منزلته الاجتماعية والانسانية فى المجتمع وفى اللغة التى لولاها لما كان المنتوج الفنى ، كما ينزله فى الامة بماضيها العريق وبحاضرها الملىء بالطموح الى حياة أفضل وأمجد .

احمد الطويل

إلى تونس الخضراء

شعر : لطفى عزالدين

اذكرى أمسك وابنى للغد   واكتبى لاسمك مجد الأبد
فى كتاب سطرت آياته   بسنا النور وذوب العسجد
وأفتحى الصدر وضمينا إلى   قلبك الحانى وقرى واسعدى
واذكرى أن حبيبا قادنا   وهدانا فى الخضم المزبد
لك يا خضراء روحى ودمى   فاسعدى نجلو العلا والسؤدد
كعبتى أنت ومحرابى وما   دون أركانك لى من معبد
كل ما ينبت من هذا الثرى   ألمعى عبقرى المولد
الثرى الحر الذى من فوقه   هزم الشر ورد المعتدى
نحن شعب آمن فى أرضه   سيد ليس له من سيد

لطفى عزالدين

تونس فى : 20 – 3 – 1978

بورقيبة ومواجهة الرأي العام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية

بقلم د. عبدالغفار محمد حسين

3

الى الولايات المتحدة مرة أخرى :

ثم قام بورقيبة (*) برحلة الى الولايات المتحدة، وهى رحلة اعتبرها بورقيبة هامة لانه نظر الى نفسه كأول قائد حركة وطنية يزور الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية،اذ اعتبرها قوة كبيرة متحالفة مع فرنسا تستطيع ان تقدم الى تونس مساعدة ثمينة في معركتها ، وبدأ هذه الزيارة بواشنطن وفيها تحدث عن تصريح روبير شومان فى ابريل سنة 1950 والذى وعد فيه بوضع حد للادارة الفرنسية المباشرة فى تونس والسير بها نحو الاستقلال الذاتي،وقال: إن تونس بعد ان شكلت وزارة تفاوضية ودخلت مع فرنسا في مفاوضات خيل اليها انها وصلت الى نهاية المطاف ، وان فرنسا ستنفذ ما وعدت به فى اطار من الصداقة والسلام ، وانها ستنقل السلطات الى التونسيين وتضع فى يدهم المصالح الاستراتيجية والثقافية والادبية ، ولكن الجالية الفرنسية وقفت فى فى وجه هذا العمل ، وقدم المقيم العام بربيه الى تونس اصلاحات 8 فبراير ولكنها كانت اصلاحات مبتورة وأنها حينما نقلت بعض السلطات للوزراء التونسيين وألغت منصب الكاتب العام فانها اوقفت نحو 150 قرارا تشريعيا، واوقفت دولاب العمل الادارى عن الحركة ، ثم هاجمت الحزب الدستورى وقبضت على العديد من رجال الحزب ورجال الاتحاد النقابى لان هؤلاء لم يرضوا عن هذه الاصلاحات ، وطالب بورقيبة الرأى العام الامريكى بمد يد المساعدة والتعضيد ضد هذه المؤامرات خشية سيلان الدماء ، والشعب التونسي لا يسعه الآن إلا الاتجاه بقلبه نحو الشعب الامريكى ،

(*) تابع لما نشر بالفكر س 24 ـ عدد 9 ـ جوان 1979 .

الشعب الذى يدافع عن العدالة الاجتماعية للبشر ، ليقف معه ، وان الطبقة العمالية التونسية تنسحب من الاتحاد العام العالمى Fédération Syndicale mondiale لانها منضوبة فى نطاق الشيوعية وتنضم الى (الاتحاد العام للنقابات الحرة C.I.S.L. (28) وذلك حتى تقاوم بكل الطرق والوسائل تدخل المستعمرين الفرنسيين (29)

ومن واشنطن خرج بورقيبة في طريقه الى سان فرنسيسكو بدعوة من قبل المؤتمر الكبير الذى نظمه الاتحاد النقابى الامريكى A.F.L. وكان مقررا ان يلقى بورقيبة كلمة امام هذا المؤتمر يوم الجمعة 21 سبتمبر ولكن حدث حادث أثار ضجة كبيرة هو ما يسمى (بخطاب سان فرنسسيكو المدلس) ذلك أن بورقيبة بعد رجوعه من سان فرنسسكو قرأ فى صحيفة (لوموند) فى عدد 2 سبتمبر خطابا نسب اليه قالت الصحيفة انه القاه امام المؤتمر فى هذا اليوم ، ولم تكن المشكلة ناتجة من أنه القى الخطاب أم لم يلقه وانما جاءت المشكلة من ناحيتين .

أولا : انه لم يلق هذا الخطاب اصلا .

ثانيا : انه نسب اليه أنه القى هذا الخطاب وفيه قدم :

أ) سبابا موجها الى الشعب الفرنسى .

ب) حملة عنيفة على امريكا وعلى كافة دول حلف الاطلنطى وعلى روسيا كذلك (30)

ولما كان بورقيبة لم يلق هذا الخطاب وبالتالى لم يرد ما فيه من تهم . كما ادعت الصحيفة المذكورة ــ فانه ارسل الى جاك جريف مدير تحرير الصحيفة يشرح لها حقيقة الموقف ويكذب هذا الادعاء ، اذ ان ما حدث هو انه لم يلق خطابا البتة ، وانما الذى القى الخطاب امام المؤتمر هو فرحات حشاد وذلك يوم الاثنين 24 سبتمبر ، ويحذر بورقيبة الصحيفة من السعايات المغرضة التى تريد القاء التهم جزافا على الحزب الدستورى الجديد ، كما نفى تهمة مشاركته للمحور فى قضيته ضد الحلفاء ، واستشهد فى موقفه هذا بالقنصل العام الفرنسى

(28) Confédération Internationale de syndicat Liberals

(29) رسالة بورقيبة فى واشنطن فى 14 سبتمبر سنة 1951 المرجع السابق ص 89 ــ 92

(30) كتاب بورقيبة الى المنجى سليم . مدير الحزب الدستورى من سان فرنسيسكو فى اكتوبر 1950 بين تونس وفرنسا . ص 339 ــ 341

م. دى لاجار وكان حاضرا هذا الاجتماع (31)

ولكن بورقيبة أحس أنه قد أصبح متهما من قبل الفرنسيين وخشى أن يؤثر ذلك على موقفه ويفقده ما كسب من عطف الاحرار الفرنسيين ، فعمل على ازالة اثر هذا الاتهام وكتب يشرح حقيقة الموقف وان العابد بوحافه كان قد أعد خطابا باللغة الانجليزية ليلقيه بورقيبة أمام المؤتمر فوجد فيه بورقيبة سبابا وتهجما على الولايات المتحدة ودول حلف الاطلنطى فطلب من بوحافة شطب هذه العبارات ووعده بوحافة بذلك ولكنه لم يفعل ، فقرر بورقيبة عدم القاء الخطاب ، ولكنه لما اعد الطيب سليم خطابا آخر يتعلق بالقضية التونسية رغب بورقيبة فى القائه فى اليوم المخصص له وهو يوم الجمعة 21 / 9 ولكن آخر دوره الى يوم الاثنين 24 منه ثم جاء فرحات حشاد يوم السبت 22 منه فأعطى الكلمة باسم البلاد التونسية وبذا فلم يلق بورقيبة خطابه لان فرحات حشاد كان نائبا عن مؤسسة نقابية وهو بذلك أولى من بورقيبة فى التحدث . ولم يكن بورقيبة بالرجل الذى يعمل على اغضاب الامريكيين أو غيرهم من الحلفاء ، وهو ما جاء الا ليطلب معونتهم ومساعدتهم (32)

واثناء وجود بورقيبة فى أمريكا انتهز الفرصة فقابل م. صمويل كابر M. Samwel Kapper مدير قسم الشرق الاوسط بالخارجية الامريكية ، وكان هذا الرجل قد رافق م. ماك غى M. Mac. Ghee السكرتير العام المساعد للدولة للشؤون الافريقية وشؤون الشرق الاوسط ، وبورجيرى Bourgerie فى رحلة الى تونس قابلوا فيها الباى ولقيت رحلتهم الود من قبله ، وحدث تفاهم بينه وبين بورقيبة وتفهم لمشاكل تونس (33)

وحتى يساعد على ازالة البلبلة التى احدثتها تصريحات صحيفة (الموند) صرح قبل تركه لسان فرنسيسكو بأن حزب الدستور مستمر فى نفس الخط الذى يسير عليه ويتمسك بمبدأ قيام وزارة تونسية انتقالية تفاوض من اجل انهاء الادارة الفرنسية المباشرة ، تمهيدا لقيام حكومة ذاتية تصبح نواة لحكم مستقل كامل بعد اجل محدد ، ويعلن عن حسن نية تونس ورغبتها فى المصالحة ويعترف بأن نقل السلطة الى التونسيين يحقق الحكم الذاتى لهم ويوصلهم الى الاستقلال فى مراحل محددة فى نطاق من السلام والصداقة مع فرنسا بشرط

---

(31) خطاب بورقيبة الى جاك جريف . فى 2 أكتوبر سنة 1951 — المرجع السابق ص 336 — 337

(32) خطاب بورقيبة الى المنجى سليم . المذكور .

(33) بورقيبة فى واشنطن . ص 93 Doc. XII (2) المرجع السابق ص 94

ان تكون هذه المراحل محددة الزمن محددة فى نهايتها ، وتعترف اساسا بمصالح تونس وتقوم على اساس احترام مصالح فرنسا ايضا بشرط توافقها مع تطلعات الشعب التونسى الى الحرية ، ولكنه لايعترف مطلقا بأحقية المستعمرين الفرنسيين فى المشاركة فى الحكومة التونسية تحت ادعاء أن هذا يحافظ على مصالحهم .

ويبدو ان بعض الصحف الفرنسية لم تقتنع بكلام بورقيبة وتصريحاته فى امريكا وسياسته وسياسة حزبه ، فقد نشرت (البتى ماتان) تصريحات بورقيبة فى واشنطن وقالت : إن الباى ـ وليس بورقيبة ـ هو المعتمد فى فرنسا ، فهو وحده الذى يستطيع ان يناقش فرنسا ويبحث معها العلاقات بين البلدين ، وهو وحده الذى له الحق فى الكلام عن الاصلاحات المطلوبة فبورقيبة لا يمثل الرأى العام التونسى ، فى رأى الصحيفة ، وانه وان كان حزبه عضوا فى الوزارة فان عليه ان يتصرف من خلال ذلك وفى نطاق الوزارة التونسية المسئولة (34)

ومع هذا فان تصريحان الموند ـ المكذوبة ـ احدثت رد فعل عنيف فى الاوساط الفرنسية ، فقد صرحت هذه الدوائر بأنها لا تستطيع ان تصدق هذه التصريحات وتستغربها ، وتستغرب من بورقيبة تلميحه الى ضعف الجيش الفرنسى فى سنة 1940 والتصدى بسخريه له ، وأخذت هى بدورها تسخر منه فقالت : إن الفضل فى إخراج بورقيبة من السجون يرجع الى النازى، وإنه تعاون مع المحور.وأردفت فقالت : إن أرشيفات المحور تكشف عن هذا التآمر، وتكشف عن المساعدات التى قدمها له فقد قدم لدول المحور وعودا خاصة وهى تعهده بمساهمة قوات تونس فى معركته ضد الحلفاء (35)

وقبل أن يعود بورقيبة من أمريكا أسس مكتبا للدعاية أسند أمر الاشراف عليه الى الباهى الادغم الذى تابع النضال من أجل تعزيز المساندة الامريكية للقضية التونسية .

---

(34) بورقيبة يضع النقط فوق الحروف (نشر فى البتى ماتان فى 20 / 9 / 1951) المرجع السابق ص 95 ـ ص 97 .

(35) Le Néo Destour engage un ultime dialogue. Doc. XII PP. 110-111

فى مدريد وطنجة :

رجع بورقيبة الى تونس ومر فى طريقه بمدريد فى 25 اكتوبر ثم طنجـة فوصلها فى أول نوفمبر وفيها عقد اجتماعا مع زعماء المغرب ، ولكن القـوات الفرنسية حاصرت مقر الاجتماع وطردت بورقيبة فى اليوم التالى فرجع منها الى مدريد ثم روما فوصلها فى الخامس منه حيث قضى فيها بقية شهر نوفمبر، وفى أول ديسمبر خرج منها الى تركيا حيث زار استانبول وانقرة ثم رحل منها الى بيروت ثم وصل القاهرة فى 13 ديسمبر .

وفى هذه المدن والبلاد كانت كلمات بورقيبة تلفت النظر الى التجربة الجارية فى تونس وتعبر عن خشيته من أن تؤدى الى الفشل بسبب عجز فرنسا عـن الوفاء بعهودها ، وعن الصمود فى وجه الجالية الفرنسية ، وفى كل بلد زارها بورقيبة كان يعمد الى مقابلة المسؤولين الفرنسيين فيها حتى يقنعهم برأيه ، وحتى يكونوا عونا لقضية بلاده ، وكان يمهد لمرحلة جديدة لابد سيخوضهـا فقد احس ان الصراع مع فرنسا آت ، وذلك ليكسب هذا النضال شرعية ، وحتى يظفر بعطف الرأى العام العالمى وتأييده (36)

وقد حقق بورقيبة بعض ما يريد ، وأصبح م. فنر بروكواى M. Fenner Brockway رئيس المؤتمر الشعبى فى انجلترا يساند هذه القضية ، ففى الثامن عشر من سبتمبر ارسل رسائل الى كل من جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند وشودرى ظفر الله خان وزير خارجية باكستان ود. ساباندريو وزير خارجية أندونيسيا حول هذه القضية وموضوع طرحها أمام هيئة الامم ورد عليه نهرو بأن الهند تقف مع قضية تونس وتؤيدها وتعطف عليها اذا ما قدمت هذه القضية أمام الهيئة الـدولية (37) ، كمـا رد أحمـد بوخـارى منـدوب باكستان فى هيئة الامم يعلـن مسانـدته للقضيـة (38) وبالمثـل كان رد د. سوباندريو (39) وعلى هذا فان فنر بروكواى ارسل هذه الردود الى بورقيبة

---

(36) الحبيب بورقيبة ، حياته وجهاده ص 116 ــ 117

(37) رسالة نهرو الى فنربروكواى . نيودلهى 26 / 9 / 51 .
C.D.N. ; Doc. XII P. 121

(38) رسالة بوخارى الى فنربروكواى . نيويورك فى 27 / 9 / 51 . المرجع السابق ص 122

(39) رسالة د. سوباندريو الى فنربروكواى (بدون تاريخ) المرجع السابق ص 123

وأكد مساندته بدوره لهذه القضية أمام الرأى العام العالمى (40)

قضية تونس فى أروقة هيئة الامم :

بعد ان جال بورقيبة فى أوربا نحو II شهرا عاد الى تونس واخذ يطوف بالمدن والقرى يوضح للشعب ان فرنسا لم تستجب لمطالبه ، ولم تنفذ وعودها . وقال ان تونس التى مدت يدها الى فرنسا آملة السير فى طريق الحوار للوصول عن طريق التعاون والتضامن الحر لتونسة الادارة بمعونة فرنسا نفسها وعلى اساس الاعتراف بمعاهدة باردو سنة I88I وعلى اساس الحفاظ على مصالح فرنسا فى تونس ولكن فرنسا بدلا من ان تستجيب لذلك ردت فى I5 ديسمبر سنة I95I بمذكرة تشيد فيها بما ادخلته فى تونس من اصلاحات وتعلن أنها تتمسك بتونس وانه من الضرورى ان يشارك الفرنسيون فى الحكم فيها (4I) وعلى هذا فان تونس تجد لزاما عليها ان تلجأ الى هيئة الامم تعرض قضيتها وهى تخاطب الرأى العام العالمى الحر للوقوف معها صراحة ، وذلك للخروج بالقضية من حالة الجمود التى تعانيها ، وطلب بورقيبة من الوزارة التونسية الاسراع بتقديم مذكرة بهذا الشأن لمجلس الامن وطالبوا بعدم التردد والا حاسبها الشعب على تقصيرها .

ومع ذلك فان بورقيبة والشعب التونسى لا يحمل لفرنسا حقدا ولا ضغينة، وانما هو يطالب هؤلاء الذين يستغلون تونس ويتحكمون فى مصيرها ان يعطوها حقها فى الحياة وتسيير امورها بنفسها ، ويطالب الشعب التونسى بالوقوف صفا واحدا والاستعداد لمعركة حاسمة قد تطول حتى تنال تونس هدفها (42)

---

(40) رسالة بروكواى الى بورقيبة . لندن فى 5 / II / 5I المرجع السابق ص I24

(4I) نص مذكرة I5 ديسمبر سنة I95I : ايام خالدة . المعركة الحاسمة . I8 يناير سنة I95I نشر كتابه الدولة للاخبار والارشاد تونس I958 ص 8 — I5

(42) خطاب بنزرت فى I3 يناير سنة I952 : من سجل الكفاح . المعركة الحاسمة I8 يناير I952 (نشر كتابة الدولة للاخبار والارشاد) تونس I965 . ص 5I — 52

وازاء الموقف المتوتر بين تونس وفرنسا ، وبعد ان فشلت المفاوضات ، لم يعد الشعب التونسى يقنع بتلك المماطلات فأجبر الوزارة على عرض القضية على مجلس الامن يؤيده فى ذلك الحزب الدستورى والصحافة التونسية ، وسافر محمد بدرة وصالح بن يوسف يحملان قضية تونس الى المجلس معتمدين على ما ورد فى البند الخامس والثلاثين من ميثاق هيئة الامم : بأن لكل دولة الحق فى لفت نظر المجلس الى أى خلاف تكون هذه الدولة طرفا فيه، وفي هذه المذكرة حددت تونس مطالبها وذكرت ان فرنسا وعدتها بالحكم الذاتى ولكنها لم تنفذ وعدها ووصلت العلاقات بين الدولتين الى حد التهديد بحدوث اضطرابات فى تونس، كما قالت المذكرة ان تونس سبق ان طلبت من فرنسا بمذكرة قدمتها فى 31 اكتوبر سنة 1951 استقلالا ذاتيا يتمثل فى حكومة تونسية بحتة وهيئة تشريعية منتخبة انتخابا حرا تكون مهمتها سن القوانين ووضع الدستور ولكن فرنسا بدلا من أن تستجيب لطلب تونس فانها ردت بمذكرة 15 ديسمبر سنة 1951 التى تصر فيها على ضرورة مشاركة فرنسى تونسى فى الشؤون السياسية والادارية والاقتصادية مما يتعارض مع القانون الدولى وما جاء فى معاهدة الحماية التى عقدت فى 12 مايو سنة 1881 ولذا فالشعب التونسى يلجأ الى مجلس الامن طالبا منه ان يعمل على انهاء النزاع بين الدولتين ومطالبة فرنسا باعطاء تونس مطالبها (43)

معنى ذلك أن السبب الاول فى التجاء تونس الى الامم المتحدة كان مذكرة 15 ديسمبر سنة 1951 لانها اثارت الخواطر بتونس بشكل واسع وأجمعت المنظمات القومية على رفض كل تدخل فى شؤون تونس ، ولم يكن من الممكن ان تلجأ تونس الى استخدام القوة فليس لها جيش وليس لها سلاح وانما اصبحت عدتها فى صراعها مع فرنسا ثبات ابنائها واعتمادها على مناصرة الرأى العام العالمى (44)

ولكن عندما تقدم الوزيران بهذه المذكرة الى السكرتير العام م. تريجفى لى رفض قبولها بل رفض مقابلتهما ، فما كان منهما الا ان حاولا واصرا واخيرا استطاعا تسليمها الى مدير مكتبه ، وعلى الرغم من توسط عبد الرحمن عزام

---

(43) نص شكوى الحكومة التونسية الى مجلس الامن فى 14 يناير سنة 1952 : المرجع السابق 53 — 55

(44) على البهلوان : تونس الثائرة (لجنة تحرير المغرب العربى) بالقاهرة سنة 1954 ص. 167 — 169

أمين عام الجامعة العربية أنذاك فقد رفض تريجفى لى مرة أخرى مقابلة الوزيرين وأصر على الرفض ، الا ان عبد الرحمن عزام واصل جهوده حتى تم عرض هذه القضية على مجلس الامن وذلك بأن طلب الى مندوب باكستان القيام بذلك ولبت باكستان الطلب ، وكلف ظفر الله خان وزير خارجيتها مندوبها فى هيئة الامم بالعمل على تحقيق هذه الرغبة ، وبذلك ظهرت ولاول مرة كتلة الدول العربية الاسيوية التى تضامنت بجد وبعطف مع تونس ووقفت معها تساندها وكانت أهم الدول التى فعلت ذلك هى مصر وسورية وبورما وباكستان والهند وشيلى وايران والفيلبين والسعودية واليمن ، ورغم تخلف مندوب كل من أثيوبيا ولبنان وليبريا عن حضور الاجتماع الذى تم فيه الاتفاق على ادراج القضية،الا ان هذه الدول ايدت تونس في موقفها(45)وكلفت لجنة من دول الكتلة المذكورة باعداد المعلومات الخاصة بالوضع في تونس وتطوراته وتقديم تقرير عنه وادرجت القضية فعلا فى 2 ابريل سنة 1952 فى اعمال المجلس واعلن السيد بوخارى مندوب باكستان فى يوم الخميس 10 منه رسميا دعوة مجلس الامن للانعقاد فى تمام الثامنة للنظر فى قضية تونس ولكن المجلس رفض القضية فى دورته هذه لان انجلترا صوتت ضدها ارضاء لفرنسا حتى تقف معها فى مصر ، كما ان الولايات المتحدة عارضت القضية أيضا وضغطت على هولندا وتركيا واليونان ارضاء لفرنسا وعلى هذا فلم تحرز القضية الاصوات السبع اللازمة حتى يتم قبولها ومناقشتها .

ولكن هذا الموقف لم يثن دول الكتلة المذكورة عن موقفها وكان عدد دولها قد اخذ يتزايد بانضمام العديد من الدول فى افريقيا وآسيا اليها حتى بلغ عددها 22 دولة فزاد ذلك من حماسها ومضاعفة جهودها ، وأصبح الامل هو فى عرض القضية على الجمعية العامة فى باريس الا انها لم تحرز الاصوات اللازمة فعرضت فى نيويورك ورفضت أيضا بسبب معارضة الولايات المتحدة .

ورأت الدول العربية فى رفض مجلس الامن بحث القضية التونسية سابقة خطيرة ، واصبحت هذه القضية امتحانا وتجربة يتقرر بها مصير العلاقات والثقة بين دول الغرب وكتلة الدول الآسيوية الافريقية ، وأصبح قرار مجلس الامن لا يتفق مع روح العدل وميثاق الامم المتحدة ورأت فيه سورية فضيحة تهدد بوقوف الدول العربية موقفا سلبيا من هيئة الامم ، وصرح الوزيران التونسيان فى بيان صدر عن مكتب الحزب الدستورى فى القاهرة بأن مجلس الامن قد ارتكب خطأ ليس له مثيل فى تاريخ الامم المتحدة .

---

(45) يونس درمونة : تونس بين الاتجاهات . القاهرة عام 1953 ص 190 ــ 192

وفي ذلك الوقت كانت الازمة قد تفاقمت بين تونس وفرنسا حين قبضت فرنسا على بورقيبة واربع من الوزراء وأعلنت الاحكام العرفية فى 18 يناير سنة 1952 وبدأت منذ ذلك اليوم تتخذ العديد من الاجراءات التعسفية للقضاء على نمو الحركة الوطنية فى تونس ، وللضغط على الباى لاستبدال وزرائه بآخرين مناصرين لفرنسا .

وقامت باكستان بمهاجمة الموقف الامريكي وأعلنت انها كانت تنتظر من امريكا تأييدا لحريات الشعوب ومن الهيئة الدولية عدالة أكثر ، وليس تنكرا لميثاقها وخذلانا لمبادئها .

وكان من المنتظر ان تقف فرنسا وانجلترا هذا الموقف المتعنت فهما دولتان عريقتان فى الاستعمار ونظرا لهذه المواقف والتصادمات أخذت قضية تونس تحتل صفحات عديدة من أمهات الصحف فهى قضية انتقلت من نطاقها الضيق بين فرنسا وتونس الى النطاق العالمى وأصبحت تجذب اهتمام الرأى العام ، فذكرت صحيفة (نيويورك تيمس) و (نيويورك هيرالد تريبيون) و (كريستيان سنس مونتور) أن فرنسا التى تدعى أنها استاذ الحرية تعسف بالشعب التونسى وتنتهك اعراض بناته ، وتدعى أن الحركة الوطنية فى تونس ليست سوى حركة يقوم بها شرذمة قليلة تتحرك بتعاليم من موسكو ، وعلى الرغم من ان الاشتراكيين الفرنسيين قد ادركوا الموقف على حقيقته وطلبوا من حكومتهم تحرير تونس ومنحها حقها فى الاستقلال ، وأخذت بعض الصحف مثل (بوبولار) تساندهم وتقول: إن شعوب شمال افريقيا ستنال حريتها حتما(46)،اماصحف مصر مثل الاهرام (47) والمصرى (48) والبلاغ (49) فقد ساندت هذه القضية واستنكرت الاعتداء الفرنسى الوحشى على التونسيين ، كما استنكرت موقف امريكا التى عملت على عدم اغتصاب فرنسا رغم المعارضة الداخلية لموقف الحكومة ووقوف الشعب الامريكى بجانب قضايا الحرية فى شمال افريقية واخذت البلاغ تحذر هيئة الامم من الفشل وتقول: ان اقرار السلام الدولى برتهن بازالة كل اثر للاستعمار في آسيا وافريقيا ونعود الى كتلة الدول الاسيوافريقية

---

(46) تونس بين الاتجاهات ص 190 — 205

(47) قرار خطير لمجلس الامن . الاهرام فى 20 — 4 — 1952

(48) حيا الله شعب تونس . المصرى (القاهرة) فى 20 / 2 / 1952

(49) لتحذر فرنسا اللعب بالنار . بقلم ابراهيم نوار فى البلاغ فى 17 / 2 / 1952

فنجدها قد احتضنت قضية تونس بحماس ، وأخذت تعقد الجلسات الدورية المنتظمة اثناء انعقاد المنظمة الدولية وذلك لتنسيق الجهود ووجهات النظر فيما يختص بقضية تونس وقضية مراكش ايضا ، واصدر الامين العـام للجـامعة تقريرا اعتز فيه بهذا التأييد ، وأخذت هذه الكتلة توضح فى اللجنة السياسية أن تونس تستعد للاستقلال وتستحقه بالمقارنة بكثير من الدول وأن النزاع بين فرنسا وتونس إنما هو نزاع على الحرية ، حرية الانسان التى دعـا اليها ميثاق هيئة الامم .

اما فرنسا فقد استمـرت فى عنادهـا ، واستمـرت تـرفض أى تدخـل واعلنت أنها ستتخلف عن حضور المناقشة أمام اللجنة السياسية .

ثم دخلت القضية فى دورة أكتوبر سنة 1952 فقد تقدم مندوبو 13 دولة من الكتلة المذكورة فى 20 يونية بطلب لعقد دورة خاصة للجمعية العامة لبـحـث مسألة تونس ، وأيدتهم فى هذا الطلب عشر دول اخرى ومع ذلك فلم يظفر الطلب بالاكثرية القانونية فتعذر انعقاد الجمعية العامة فى دورة خاصة فانتظرت هذه المجموعة من الدول انعقاد الدورة العادية ، وفى 30 يوليو تقدمت بطلب لادراج القضية فى جدول الاعمال ، وفعلا اقرت الجمعية العامة ادراج القضية فى جدول اعمالها فى 16 اكتوبر ثم احالتها على لجنة سياسية ، وعقدت هـذه اللجنة عشر جلسات لبحثها ، وتولت الكتلة المذكورة الدفاع عنها باسهاب ، وتطرق الكلام الى المفاوضات التى جرت بين تونس وفرنسا الى بيان الاسباب التى ادت الى فشل هذه المفاوضات والى حدوث الاضطرابات داخل تونس والى قيام حوادث دامية فيها ، ووقف الاتحاد السوفيتى يؤيد الدول العربية فـى موقفها وناشدت هذه المجموعة فرنسا الاشتراك فى مناقشات الجمعية السياسية ولكنها رفضت بشدة وكان مندوبو تونس يشتركون مع هذه المجموعة ويقدمون لهم المعلومات اللازمة ، واسفر هذا الجهد عن تقديم مشروع قرار بعد طول بحث تناول عدة نقاط .

1) يعلن ميثاق الهيئة المساواة بين الشعوب كبيرها وصغيرها فى الحقوق وفى حق تقرير المصير .

2) استمرار الحالة فى تونس يجحف بتلك الحقوق والمقاصد ويهدد الامن والسلام الدوليين

3) مطالبة الهيئة بأن تحث فرنسا على ايجاد حالة عادلة واعادة الحياة فى تونس .

4) ان تدعو الهيئة تونس وفرنسا الى استئناف المفاوضات بينهما من اجل تقرير مصير شعب تونس وامانيه الوطنية .

5) ان تعين الهيئة لجنة للمساعي الحميدة تؤلف من ثلاثة أشخاص تعد للمفاوضات المقترحة وتساعد عليها .

6) ان تتخذ الهيئة جميع الخطوات اللازمة تحقيقا للاهداف المذكورة وتقدم تقريرها الى الجمعية العامة .

7) ان تدعو الجمعية العامة أصحاب الشأن لتقديم معونتهم لهذه اللجنة .

8) ادراج القضية فى جدول اعمال الجمعية العامة لدورتها الثامنة (50)

هكذا وقف هذا المشروع بجانب مطالب تونس ، ووقفت دول الكتلة الى جانبها ، الا ان مندوبو احد عشر دولة امريكية فى امريكا الوسطى والجنوبية تقدموا بمشروع آخر .

1) يعلن المشروع ثقة الجمعية العامة في انفرنسا ستسعى لانماء المؤسسات الحرة للشعب التونسى وفقا لمبادىء الامم المتحدة .

2) وتعرب الجمعية العامة عن أملها فى استمرار الدولتين فى استئناف المفاوضات بصورة عاجلة بغية اقامة حكم ذاتي للشعب التونسى فى ضوء ميثاق الامم المتحدة .

3) تناشد الجمعية العامة الدولتين بأن تسيرا فى علاقتهما بموجب روح وميثاق الامم المتحدة والامتناع عن أى اعمال او اجراءات تؤدى الى استمرار التوتر الحالي وزيادته .

وأصبح هذا المشروع بشكله هذا يهدف الى حل وسط ولم يكن لـه قـوة المشروع السابق . فرأت كتلة الدول الاسيوية الافريقيةدعوة ممثلي تـونـس وفرنسا لحضور المناقشة وفعلا تقدم مندوب باكستان بمشروع قرار يأسف لعدم حضور مندوب فرنسا اثناء مناقشة القضية ويناشد فرنسا معاودة النظر في قرارها،ويدعو اللجنة السياسية دعوة باى تونس لارسال مندوبيه للاشتراك فى المناقشة دون ان يكون لهم حق التصويت ، وكان الهدف الحقيقى لهـذا المشروع هو اتاحة الفرصة لباى تونس ليعلن عن رأيه ولازاحة الحصار الذى ضربته فرنسا حوله ، ولكن الولايات المتحدة واكثر دول امريكا اللاتينية واوربا

---

(50) يونس درمونة : تونس بين الحماية والاحتلال . القاهرة ؟ ص 109 ـ 114

وانجلترا صوتت ضده فلم يظفر بالاغلبية .

ثم أحست الكتلة المذكورة بأن مشروع دول أمريكا اللاتينية يحظى بتأييد اكثر فتقدم مندوب الهند بتعديل لتحسين المشروع اللاتيني طالب فيه بالغاء الفقرة الخاصة بشأن المؤسسات الحرة فى تونس وسياسة فرنسا واستبدالها بفقرة تنص على رجاء رئيس الجمعية بأن يلاحظ خط سير المفاوضات بين الدولتين وان يقدم المعونة التى يراها ضرورية ، وكان القصد من هذا التعديل هو ربط المفاوضات بالامم المتحدة حتى تسير توجيهها من حيث الزمن والموضوع بدلا من أن تظل تحت رحمة فرنسا وتحت رحمة الظروف .

ولما جرى التصويت على مشروع الكتلة الاسيوية الافريقية رفض بأغلبية 27 صوتا وموافقة 24 صوتا وامتناع سبع دول عن التصويت ، وذلك على الرغم من أن بعض فقراته مأخوذة من ميثاق هيئة الامم ، واما المشروع اللاتينى فقد وافق عليه 45 دولة ورفضته ثلاث دول وامتنعت عشر دول عن التصويت .

اما التعديل الهندى فقد ظفر بتأييد 31 دولة ومعارضة دولتين وامتناع 6 دول عن التصويت .

وفى 17 ديسمبر 1952 أقرت الجمعية العامة قرار اللجنة السياسية بأغلبية 41 صوتا مقابل 3 أصوات وامتناع 8 دول عن التصويت (51)

وجاء فى هذا القرار أن الجمعية العامة .

1) تعبر عن ثقتها بأن حكومة فرنسا ــ تطبيقا للسياسة التى اعلنتها ستبذل جهودها بصورة فعلية لازدياد نمو المنظمات الحرة للشعب التونسى طبقا لاهداف ومبادىء الميثاق .

2) تعبر عن أملها فى أن الفرقاء سيواصلون المفاوضات بصورة عاجلة لتحقيق الحكم الذاتى .

3) تناشد الفريقين المعنيين بأن يسيروا فى علاقاتهما وان يسويا النزاع القائم بينهما طبقا لروح الميثاق وأن يكفا عن القيام بأية أعمال أو اجراءات من شأنها أن تزيد فى خطورة التوتر الراهن (52)

---

(51) المرجع السابق ص 114 ــ 129

(52) من نص قرار الجمعية العامة فى دورتها السابقة بتاريخ 15 / 12 / 1952 عن المسألة التونسية . المرجع السابق ص 147

ومهما كان الامر فان فرنسا لم تستمع الى هذا القرار ولم تنفذه ، ولكن تونس كسبت من هذه التجربة فلم تعد قضيتها قضية محلية بل اصبحت قضية مطروحة امام الرأى العام العالمى . وجعل فرنسا غير طليقة دون رقيب أو حسيب .

فما هى سوى بضع سنوات حتى اضطرت فرنسا امام الضغط الشعبى المتزايد فى تونس وامام الثورة العاتية فيها وأمام خذلانها فى الهند الصينية الى الاستماع الى صوت العقل . وكان أن استجابت للمطالب التونسية واستقلت تونس فى مارس سنة 1956 .

والفضل فى ذلك يرجع الى اصرار الشعب التونسى وقادته وعلى رأسهم بورقيبة على الحصول على حريته .

مراجع هذه الدراسة

أولا : الوثائق :

1) مركز الوثائق القومية (كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار) مجموعة وثائق تحت رقم 50 — 3

2) مصلحة وثائق الكفاح الوطنى (كتابة الدولة للاخبار والارشاد)

1) أيام خالدة . المعركة الحاسمة 18 يناير سنة 1952 . تونس 1958

2) من سجل الكفاح . المعركة الحاسمة 18 يناير سنة 1952 . تونس 1965

4) منشورات الحزب الاشتراكي الدستورى .

وثائق من تاريخ الحركة القومية . 18 يناير سنة 1952 (نشر قسم التوجيه وتكوين الاطارات) تونس سنة 1967

5) الحبيب بورقيبة أ — بين تونس وفرنسا . كفاح مرير طيلة ربع قرن فى سبيل التعاون الحر . تونس سنة 1957

ب — من تاريخ 7 يونية سنة 1943 . تونس سنة 1963

7) Centre de Documentation National ; Histoire de Mouvement National Tunisien ; Pour Preparer la troisieme épreuve.

A. Doc. X. Le Néo Destour brise le silence 1944/49.72

B. Doc. XI. Le Néo Destour engage un ultime dialogue. 50/51 .Tunis 1973.

C. Doc. XI. Le Neo Destour engage un ultime dialogue. 50/51. Tunis 1974.

10) Habib. B. ; Discours. Vol. 1. Années 1955-56. Tunis 1974
11) الحبيب بورقيبة . أحاديث . سنوات 55 / . تونس 1974

ثانيا : المؤلفات

1) يونس درمونة : تونس بين اتجاهات . القاهرة 1953
2) تونس بين الحماية والاحتلال . القاهرة ؟
3) الحزب الاشتراكى الدستورى .
بعث أمة وبناء دولة 1934 ـ 1974 تونس سنة 1974
3) كتابة الدولة للاخبار والارشاد :
الحبيب بورقيبة . حياته وجهاده . تونس 1966
5) على البلهوان : تونس الثائرة (لجنة تحرير المغرب العربى) القاهرة 1954
6) شارل اندريه جوليان : افريقيا الشمالية تسيـر . القوميات الاسـلامية والسيادة الفرنسية . ترجمة . المنجى سليم وآخرون . تونس سنة 1976

ثالثا : عدد من كل من المصرى والاهرام والبلاغ .

الإشراقات (*)

شعر : رانبو
تعريب : محسن بنحميده

19 ـ مدن

قَلْعَةُ أثِينَا الرَّسْمِيَّةُ
تَتَجَاوَزُ أضْخَمَ مَفَاهِيمِ الْبَرْبَرِيَّةِ العَصْرِيَّةِ
فَمِنَ المُسْتَحِيلِ التَّعْبِيرُ عَنِ الْيَوْمِ البَاهِتِ
النَّاتِجِ عَنِ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّمَادِيَّةِ الثَّابِتَةِ
عَنْ لَمَعَانِ المَبَانِي الأمْبِرِيَالِي
وَعَنْ ثُلُوجِ الثَّرَى الأبَدِيَّةِ
لَقَدْ نَقَلُوا فِي ذَوْقِ ضَخَامَةٍ غَرِيبٍ
جَمِيعَ البَدَائِعِ الكلاَسِيكِيَّةِ لِلْهَنْدَسَةِ المِعْمَارِيَّةِ
أحْضُرُ مَعَارِضَ لِلرَّسْمِ
فِي قَاعَاتٍ تَكْبُرُ « هَمْبْتُونْ كُورتْ »
عِشْرِينَ مَرَّةً
وَيَالَهُ مِنْ رَسْمٍ !
لَقَدْ
أمَرَ « نَبُوكُدُ نُزُورُ » نُرْوِيجِيَ
بِبِنَاءِ مَدَارِجِ الوِزَارَاتِ

(*) تابع لما نشر بالفكر العدد 8 ـ س 24 ـ ماى 1979

وَ المَرْؤُوسُونَ
الذينَ أُتيحَ لي أَنْ أُشاهِدَهُمْ
أَصْبَحُوا الآنَ أَشَدَّ أَنَفَةً مِنَ البَرَهْمَنِيِّينَ
وَارْتَجَفْتُ لِمَظْهَرِ حُرَّاسِ التَّمَاثِيلِ العِمْلاَقَةِ
وَ ضُبَّاطِ البِنَاءِ

وَبِتَجْمِيعِ البِنَاءَاتِ على شَكْلِ
حَدَائِقَ وَسَاحَاتٍ وَسُطُوحٍ مُغْلَقَةٍ
قَدْ أَقْصَوا الأَبْرَاجَ
فَالحَدَائِقُ تُمَثِّلُ الطَّبِيعَةَ البِدَائِيَّةَ
وَقَدْ عَمِلَ فِيهَا فَنٌّ بَدِيعٌ
الحَارَةُ العُلْيَا لَهَا أَجْزَاءٌ لاَتَعْلِيلَ لَهَا
فَهَذَا خَلِيجٌ بِلاَ سُفُنٍ
تَجْرِي صَفْحَتُهُ إِبْرِيزِهِ الأَزْرَقِ
بَيْنَ الأَرْصِفَةِ المُحَمَّلَةِ شَمْعَدَانَاتٍ عِمْلاَقَةً
وَهَذَا جِسْرٌ قَصِيرٌ يَنْتَهِي إلى بَابٍ مُخْفِيٍّ
مُبَاشَرَةً تَحْتَ قُبَّةِ المَعْبَدِ المُقَدَّسِ
وَهَذِهِ القُبَّةُ دِرْعٌ مِنَ الحَدِيدِ الفَنِّيِّ
قُطْرُ دَائِرَتِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ قَدَمٍ تَقْرِيبا
وَعلى بَعْضِ نُقَطِ جُسُورِ النُّحَاسِ وَالمُسَطَّحَاتِ
والمَدَارِجِ الدَّائِرَةِ حَوْلَ الأَسْوَاقِ المَرْكَزِيَّةِ
وَالأَعْمِدَةِ
ظَنَنْتُنِي قَادِرا على تَقْدِيرِ عُمْقِ المَدِينَةِ
فَمَا هِيَ مُسْتَوِيَاتُ الأَحْيَاءِ الأُخْرَى
فَوْقَ قَلْعَةٍ أَتَيْنَا أَوْ تَحْتَهَا

تلكَ هيَ الأُعْجُوبَةُ التي عَجَزْتُ عَنْ إدْرَاكِهَا
وَإنَّهُ لَمُسْتَحِيلٌ على الغَرِيبِ فِي زَمَانِنَا أنْ يَتَعَرَّفَهَا
فَالحَيّ التِّجَارِيّ مَسْرَحٌ مُسْتَدِيرٌ على أُسْلُوبٍ وَاحِدٍ
بِأرْوِقَةٍ ذَاتِ قَنَاطِرَ
لاَ نَرَى حَوَانِيتَ لَكِنَّ ثَلْجَ الطَّرِيقِ مُفَطَّسٌ
وَوُلاَةٌ قَلِيلُونَ
أَنْدرُ مِنَ المُتَنَزِّهِينَ بِلُنْدُنَ صَبَاحَ يَوْمِ أحَدٍ
يَتَّجِهُونَ نَحْوَ عَرَبَةٍ
مِنْ مَاسٍ
وَهَذِهِ بَعْضُ أرَائِكَ مِنْ مُخْمَلٍ أحْمَرَ
وَالسُّقَاةُ يُقَدِّمُونَ مَشْرُوبَاتٍ قُطْبِيَّةً
يَتَرَاوَحُ ثَمَنُهَا مَا بَيْنَ ثَمَانمائَةِ
وَثَمَانِيَةِ آلاَفِ رُوبِيَّةٍ
وَعِنْدَمَا أُفَكِّرُ فِي البَحْثِ عَنْ مَسَارِحَ
على مَجْرَى تِلْكَ الدَّائِرَةِ
أُجِيبُنِي أنَّ الحَوَانِيتَ تُخْفِي لاَمَحَالَةَ
مَآسِيَ ظَلْمَاءَ
أَظُنَّ وُجُودَ شُرْطَةٍ هُنَاكَ
لَكِنَّ القَانُونَ لاَبُدَّ أنْ يَكُونَ غَرِيباً إلى حَدِّ
أنِّي أعْدِلَ عَنْ أنْ تَكُونَ لي فِكْرَةٌ
عَنِ المُغَامِرِينَ هُنَا
الضَّاحِيَةُ فِي أنَاقَةِ
شَارِعٍ جَمِيلٍ مِنْ شَوَارِعِ بَارِيسَ
أُضْفِيَ عَلَيْهَا جَوّاً مِنْ نُورٍ

فَالعُنْصُرُ الدِّيمُقْرَاطِيّ يَعُدّ بَعْضَ مِئاتٍ مِنْ النُّفُوسِ
هُنَالِكَ أَيْضاً لاَ تَتَابُعَ لِلدَّوْرِ
بِحَيْثُ أَنّ الضَّاحِيةَ تَتَلاَشَى بِصُورَةٍ غَرِيبَةٍ
فِي الرِّيفِ فِي المُقَاطعَةِ الَّتِي تَمْلأُ
الغَرْبَ الأَبَدِيّ لِلْغَابَاتِ والْمَزَارِعِ العَجِيبَةِ
حَيْثُ الأَشْرَافُ المُتَوَحِّشُونَ
يَتَصَيَّدُونَ أَخْبَارَهُمْ على ضَوْءِ النُّورِ الْمُخْتَلَقِ

20 ـ سهرات

هِيَ الرَّاحَةُ الْمُضَاءَةُ لاَحُمَّى ولاَخُمُولَ
على السَّرِيرِ أَوْ على المَرْجِ
هُوَ الحَبِيبُ فِي غَيْرِ تَحَمُّسٍ ولاَ فُتُورٍ
هُوَ الحَبِيبُ
هِيَ المَحْبُوبَةُ لاَمُبَرِّحَةٌ ولاَ مُبَرَّحَةٌ
هِيَ المَحْبُوبَةُ
المَاءُ والدُّنْيا غَيْرُ مَقْصُودَانِ
الحَيَاةُ

أَهِيَ هَذَا ؟
وَيَبْرُدُ الْحُلُمُ
تَعُودُ الإِضَاءَةُ إِلى شَجَرَةِ الْبِنَاءِ
فِي طَرَفَيِ الْقَاعَةِ زَخَارِفُ عَادِيَّةٌ
فِي صُورَةِ تَشَابِيدَ مُتَنَاسِقَةِ الْتَحَقَتْ
الْحَائِطُ تُجاهَ الْحَارِسِ تَعَاقُبٌ نَفْسِيّ
لِنُحُوتِ أَفَارِيزَ وَأَشْرِطَةٍ جَوِّيَّةٍ
وَأَحْدَاثٍ جِيُولُوجِيَّةٍ

حُلُمٌ حَادٌ وَسَرِيعٌ
لِفِئَاتٍ عَاطِفِيَّةٍ
بِكَائِنَاتٍ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الطِّبَاعِ
عَبْرَ جَمِيعِ أَنْوَاعِ المَظَاهِرِ
مَصَابِيحُ السَّهْرَةِ وَبُسُطُهَا تُحْدِثُ
صَخَبَ المَوْجِ لَيْلا
فِي ارْتِطَامِهِ بِبَدَنِ السَّفِينَةِ
وَحَوْلَ مَا بَيْنَ الجِسْرَيْنِ
بَحْرُ السَّهْرَةِ كَأَنَّهُ ثَدْيَا أَمِيلِيَّةَ
الطَّنَافِسُ إلى ارْتِفَاعٍ وَسَطٍ
أَدْغَالٌ مِنَ التَّخَارِيمِ المَصْبُوغَةِ زُمُرُّدا
تَرْتَمِي فِيهَا قُمْرِيَّاتُ السَّهْرَةِ
صَفِيحَةُ المَرْكَزِ الأَسْوَدِ
شُمُوسٌ حَقِيقِيَّةٌ لِسَوَاحِلَ رَمْلِيَّةٍ
يَالَهَا مِنْ آبَارِ سِحْرٍ !
يَالَهُ مِنْ مَنْظَرٍ لِلْفَجْرِ وحيدٍ !
هَذِهِ المَرَّةَ

21 ـ صوفية

على مُنْحَدَرِ التَّلْعَةِ
تُدِيرُ المَلَائِكَةُ فَسَاتِينَهُنَّ الصُّوفِيَّةَ
فِي حَشَائِشِ الفُولَاذِ والزُّمُرُّدِ
مُرُوجُ لَهَبٍ وَاثِبَةٌ حَتَّى أَعَالِي الأَكَمَةِ
عَنِ الشِّمَالِ خُضَارُ الزَّاوِيَةِ النَّاتِئَةِ
يَطَؤُهُ جَمِيعُ القَتَلَةِ

وَجَمِيعُ المَعَارِكِ وَجَمِيعُ ضَجَّاتِ الْكَوَارِثِ
تَخُطُّ مُنْحَنيَاتِهَا
خَلْفَ زَاوِيَةِ الْيَمِينِ خَطَّ المَشَارِقِ
ومختلف أنواع الرقي وبينما شريط أعلى اللوحة ..
متكون من الصدى الدوّار الوثاب لسفن البحار .. وليالي البشر..
تَرى الحَلاَوَةَ الزَّهْرَاءَ
للنُّجُومِ والسَّمَاءِ وَمَا تَبَقَّى
تَنْزِلُ تُجَاهُ التَّلْعَةِ
كَسَلَّةٍ إزَاءَ وُجُوهِنَا
فَتَكَوَّنُ فِي الأَسْفَلِ الهَاوِيَةَ المُزْهِرَةَ الزَّرْقَاءَ

22 ـ فجر

قَبَّلْتَ فَجْرَ الصَّيْفِ
لاَ شَيءَ يَتَحَرَّكُ بَعْدُ فِي جَبَهَاتِ القُصُورِ
وَلَمْ تَبْرَحْ مُخَيَّمَاتُ الظِّلاَلِ طَرِيقَ الغَابِ
وَسِرْتُ مُنَبِّهًا الأَنْفَاسَ الحَادَّةَ الدَّافِئَةَ
فَنَظَرَتِ الحِجَارَاتُ الكَرِيمَةُ
وَرَفْرَفَتِ الأَجْنِحَةُ فِي سُكُونٍ
وَأَوَّلُ سَعْيٍ
فِي الدَّرْبِ الَّذِي امْتَلأَ بَعْدُ شَضَايَا غَضَّةً بَاهِتَةً
كَانَ زَهْرَةً فَاهَتْ لِي بِاسْمِهَا
ضَحِكْتُ لِلشَّلاَّلِ الأَصْهَبِ المُتَشَعِّثِ عَبْرَ التَّنُّوبِ
وَبِالقِمَّةِ الفِضِّيَّةِ تَبَيَّنْتُ الرَّبَّةَ
فَرَفَعْتُ الحُجُبَ وَاحِدا وَاحِدا
فِي المَمَرِّ وَأَنَا رَافِعٌ يَدَيَّ
وَعَبْرَ السَّهْلِ حَيْثُ وَشَيْتُ بِهَا لِلدِّيكِ

كَانَتْ تَفِرّ فِي المَدِينَةِ الكَبِيرَةِ
مِنْ خِلاَلِ الأبْرَاجِ والقِبَابِ
وَكُنْتُ أنَا أطْرُدُهَا
جَارِيا كَالمُتَسَوّلِ على أرْصِفَةِ الرّخَامِ
وفِي أعلى الطّرِيقِ قُرْبَ غَابٍ غَارٍ
أحَطْتُهَا بِبَرَاقِعِهَا المُجَمّعَةِ
فَأحْسَسْتُ قَلِيلا جِسْمَهَا الشّاسِعَ
وَوَقَعَ الفَجْرُ والطفل فِي أسْفَلِ الغَابِ
وَعِنْدَ الإنْتِبَاهِ كَانَ الزّوالُ

23 ـ زهور

مِنْ مَدْرَجٍ ذَهَبِيٍّ
عَبْرَ جِبَالِ الحَرِيرِ
والشّفُوفِ النّاصِعَةِ والمُخْمَلاَتِ الخَضْرَاءِ
وَأقْرَاصِ البِلّوْرِ التي تَسْوَدّ كَالبُرُنْزِ تَأثُرا بِالشّمس
أرى إصْبَعَ العَذْرَاءِ
يَتَفَتّحُ على بِسَاطٍ مِنْ أسْلاَكِ الصِّيَاغَةِ الفِضّيّةِ
بِسَاطٍ مِنْ العُيُونِ وَالشّعُورِ
وَتُحِيطُ بِوَرْدَةِ المَاءِ
نُقُودُ ذَهَبٍ أصْفَرَ مَبْذُورَةٌ فِي العَتِيقِ
وَأعْمِدَةُ مَهَاغُونِي تَسْتَنِدُ عَلَيْهَا قُبّةٌ مِنْ زُمُرّدٍ
وَبَاقَاتُ أطْلَسَ أبْيَضَ وَقُضْبَانُ أحْمَرَانِ رِقَاقٌ
وَكُرَبٌ ذي أشْكَالٍ ثَلْجِيّة وَعَيْنَيْنِ زَرْقَاوَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ
يَجْذِبُ البَحْرُ والسّمَاءُ نَحْوَ سُطُوحِ المَرْمَرِ
جُمْهُورَ الزّهُورِ الفَتِيّةِ القَوِيّةِ

(يتبع)

الصقيع

قصة : عائدة عبد الحميد

أنظر فى عينها .. أرى حلما أخضر يدعونى اليه يهون على اطأة المأساة .. أرى براءة صادقة تحبها نفسى ويتعشقها وجدانى .. وأتأملها .. فأنسى الجوع وأنسى سنوات الجدب وزمان الاوبئة .. يتلاشى كل ذلك فى لحظة وأنظر .. فأرى الخصب وأرى الماء وبعد اعياء وتعب شديدين تشملنى فرحة فرحة تضمنى الى الحياة وتضمها الى .. بعد ان أكون قد قاطعتها وقاطعتنى ..

★ ★ ★

السماء شديدة السواد .. السحب متكاثفة .. هواء بارد يتسرب الى غرفتى بقشعر له بدنى وتثلج له أطرافى .. أنهض فاحكم اغلاق النوافذ وأعود ..

أشجانى تتكاثف .. وحنينى يتضاعف الى شيء يسكن أعماق نفسى وأجهله ويتفاقم ألمى وأحس بالمرارة وتغشينى كآبة .. وأذكر الموت وأفكر فى الحياة ويعاودنى حنينى أشد مما كان .. الى شيء مجهول أرومه وأحبه وتنزع نفسى اليه ..

ولما أحس بالاختناق أهرع الى النافذة .. أفتحها فتلفحنى نسمات باردة يقشعر لها جسمى .. وأرفع بصرى أتأمل ما حولى .. السماء تنذر بنزول غيث غزير.. النجم اللألاء اختفى.. الارض هى الارض .. ما زالت تحمل فوق ظهرها الاحياء والاموات .. الصحاح والسقام .. العباقرة والاغبياء .. وما زالت تحتضن الخير والشر .. والعابد والمعبود .. السيد والمسود ..

وتترای لى القبور فى ردائها الابيض هادئة ساكنة بعيدة عن صخب الحياة وعن ضجيجها .. موغلة فى الوحشة والوحدة والخلاء .. ويتبادر الى ذهنى سؤال كثيرا ما أرقنى : « أيعنى الموت الفناء أم أنه يعنى الحياة المثلى التى ننشدها دوما ، الحياة التى تعدل بين الناس وتنصف العباد ؟» .

صوت الرعد يصلنى مزمجرا حادا ... أضواء فجئية تنبثق من السماء تخترق الغرفة وتشع النور ثم لا تلبث أن تعود .. لتمزق السحب بخيوط من نار يضاء لها الكون ويفزع لمرآها الاطفال .

بدا الفزع فوق وجهها واضحا جليا واتسعت حدقتاها وأوشكت على أن تصيح .. رأيتها وقد ألقت بلعبتها جانبا فهرعت اليها أحتضنها وأقبلها وأهدى من روعها . قطرات المطر تنقر سطح الغرفة فى ايقاعات منتظمة .. عواء الرياح يخرق الصمت الشامل .. النوافذ ترتجف .. تصفع احدى النوافذ فتندفع العاصفة فى هياج مصفرة حانقة .. تفزع طفلتى وتركن الى صدرى أبعدها عنى فى رفق لكنها تتشبث بى وتزداد التصاقا وتمسكا .. اجد نفسى مجبرة على النهوض وهى بين ذراعى .. ألتقط « شالا » أضعه فوقها .. أخطو خطوات نحو النافذة .. العاصفة شديدة والصقيع أشد .. ورشاش المطر يتناثر وسط الغرفة.. أحاول اغلاق النافذة.. يلمع البرق ويزمجر الرعد.. ويتراقص الضوء ثم لا يلبث ان يشمل الظلام الغرفة .. أتحسس الجدار حتى تمس يدى الفراش .. ألقى بطفلتى فوقه .. تصرخ ويعلو صراخها .. أعصابى تزداد توترا .. أبحث عن شمعة كنت قد وضعتها على المكتب احتياطا .. أجدها .. ابحث عن علبة اعواد الكبريت .. يطول بحثى عنها .. ويطول معه صياح طفلتى وتتشنج اعصابى .. ثم وبعد برهة اجدها باحدى جيوب « الروب دى شامبر » الذى ارتديه .. أخذ العلبة فيعود الضوء .. تكف طفلتى عن الصراخ .. وتهدأ أعصابى .. أغلق النافذة ثم اجلس لجانبها ألاطفها وأقص عليها احدى الحكايات المضحكة ..

* * *

الوحشة ثقيلة على قلبى .. السكون يمتد فى أعماقى .. يلفنى .. يأسرنى تحت قبضته يخنق كلماتى .. يشد أنفاسى .. تتراخى عضلات جسدى .. تتقلص .. تذوب .. أغمض عينى ، حتى لا أشاهد نفسى وأنا أنزل فى بئر عميقة حيث الصمت الابدى وحيث الخنوع وحيث الموت .

الصراخ يعلو .. البركان يشتعل .. الزلزال يهزنى .. الثورة تتفجر فى أعماقى .. تتصاعد شظاياها حمراء ملتهبة .. تبث النور وتعطى الاضواء .. وتطهر الكون النار تصهر كل شىء .. النار تقضى على الميكروبات .. تسحقها سحقا .. تلتهمها التهاما .. النار تضمن سلامة الصحة .. تضمن سلامة الكيان الوجودى .. وتمنحنا فوق ذلك الدفء وتبعث فينا النشاط وتحفزنا على العمل وعلى الخلق ..

* * *

شكت لى مرة التعفن .. شكت لى الصقيع .. كانت تضع على كتفيها أدثرة كثيرة .. كانت تركن الى القعود .. والى السكون .. كانت تركن الى الجمود .. اليوم جاءت تشكو لى الامراض والاوبئة والحياة العفنة ..

قلت لها : « ضعى الاعواد وأوقدى النار .. افتحى النوافذ وأطلى على العالم .. خلى الشمس تدخل بيتك .. وتحركى .. كفاك جمودا .. وقعودا .. تحركى حتى تبعث الحياة فى أوصالك .. واشرعى فى القيام بعملية تنظيف شاملة .. تحولى الى كل ركن من أركان بيتك .. نظيفيه وأشعلى به النار .. فستقضين على الاوبئة وستعود اليك صحتك ..

ترددت .. تمطعت فى مكانها .. أرادت الوقوف .. حياة الخمول تشدها .. رائحة المكان النتنة تقوى .. تشتد .. تجعلها تضطرب .. تجعلها تفكر فى النهوض تلقى بالغطاء بعيدا عنها .. يتسرب الهواء البارد الى جسدها .. تنشد الدفء .. تبحث عن الغطاء .. الرائحة تقوى .. تتصاعد .. تزداد قوة كلما تحركت .. يصيبها دوار .. إنها تكاد تختنق .. تجهد نفسها لكى تتنفس ولما تتنفس تصطدم بتلك الرائحة النتنة التى تملأ خياشيمها وتصل حتى رئتيها .. يتولد فى نفسها شعور بالتقزز .. بالاشمئزاز .. تبصق .. يشحب لونها .. يخضر .. يبدو عليها الهزال والمرض .. والبؤس .. تقوم .. تقف .. تتحرك .. ترثى لحالها .. يصعب عليها ما تراه .. يثقل عليها الحمل .. تفكر .. تعتزم المبادرة .. بتطهير المكان .. تروق لها الفكرة .. يراودها أمل فى أن ترى المكان نظيفا وفى أن تسعد ولو للحظات برائحة زكية تنبعث من أركانه .. تهرع الى جلب العقاقير .. العقاقير متعددة .. يبدو أنها لا تجدى .. لا يمكن لها ان تجعل عملية التطهير عملية كاملة .. وان تقضى قضاء مبرما على الرائحة الكريهة التى تملأ المكان لتحل محلها رائحة عطر وعنبر ومسك ..

وتذكرت .. ومضت الفكرة فى رأسها فجأة .. وابتسمت للفكرة .. قفزت لها صفقت .. زغردت .. صاحت : النار .. النار .. وأسرعت لتوقد النار فى كل ركن من أركان بيتها .. وسعدت بمرآها وهى تفترس كل ما أصابه التعفن ظلت ترقبها فى صمت وهى تلتهم كل ما يحتوى عليه بيتها .. وتمت عملية التطهير فى ظروف صعبة .. كان التعب واضحا جليا فى عينيها .. وكان الهزال قد أخذ منها مأخذا عظيما .. كانت تبدو شاردة .. وكانت عيناها تلمعان ببريق التحدى .. وتحركت .. لتنقل أول خطواتها فى بيت صهرته النيران وأضاءه اللهيب ..

وسارعت باشعال أعواد العنبر وبفتح النوافذ .. وسطعت الانوار فى كل ركن وانبعثت من المكان رائحة بخور منعشة .. تتسرب الى أنفك فتخدر أوصالك وتشجعك على ان تحلم .. وبدا المكان جليلا .. وقورا .. تأنس اليه

نفسك ويتجاوب معه احساسك .. ويثير فيك عواطف غامضة لذيذة تجعلك تهفو الى دنيا الفرح والبهجة والطلاقة ..

وتشتاق الى يوم تنسى فيه حزنك وضياعك .. يوم يحررك من دنيا القلق والوجوم ليقذف بك الى شاطىء الامان حيث تسطع الشمس وحيث يظهر الضياء وحيث يحتويك الكون بين ذراعيه فى رفق فينتشلك من ألم العزلة ومرارة الذهول ..

ولاول مرة تتخطى عتبة بيتها لتأخذ مكانها بين الآخرين .. أخذت تتطلع الى الوجوه .. وجوه لم ترها قط ووجوه رأتها ولكنها وفى هذا اليوم بالذات تبدو جديدة عليها .. تراها وكأنها تلتقى بها لاول مرة .. وقذفت بنفسها وسط الجموع المحتشدة تبحث فى عزم عن مكانها بينهم .. عن أرض تنبت بها الزرع وترعى بها النابت منه لكى يينع ويخضر ..

ان رائحة عنبر وعطر ومسك تملأ أنفها .. وان دفئا هائلا يسرى فى كيانها .. وان أغانى عذبة وألحانا « موزارية » تتردد خلف أعماقها .. ان نشوة النصر تبدو فى كل حركة تقوم بها .. لقد قضت على الاوبئة وعلى حياة الخمول .. لقد ولت أيام الصقيع والانزواء .. أيام البؤس والانكماش .. انها تتنفس وما دامت تتنفس فهى قادرة على أن تنبت الزرع وعلى أن ترعى النابت منه لكى يينع ويخضر ..

* * *

فى النهاية وجدت نفسها وقد أقامت مدينتها السحرية فى أعلى قمة من الجبل .. وحولت أساطيرها وحكاياتها القديمة الى واقع يتحدث فيه الزهر والحيوان .. وينتصر فيه الحب ويعمه السلام ، وأصبح عالمها عالما من الضحكات والآمال .. عالما من الجبال العالية والبحار الواسعة .. وتعددت الاقمار فى سمائها .. ومع كل سحابة رأت شمسا تسطع وابتسامة ترف .. كانت طفلتها ما تزال فى سريرها تتابع حركاتها وسط الغرفة وتبتسم ..

انحنت لتقبلها فرأت فى عينيها قاربها الصغير الذى صنعته بيديها وظلت تصنعه السنوات الطوال .. واحتضنتها فى قوة ودموع الفرح تسيل فى صمت فوق وجنتيها .. لقد تراءى لها الافق من بعيد مشرقا وضاحا .. انها تتنفس وما دامت تتنفس فهى قادرة على ان تنبت الزرع وعلى أن ترعى النابت منه لكى يينع ويخضر ..

ـ عايدة عبد الحميد ـ

ـ الساحلين ـ

رسم المصحف وضبطه .. كيف يجب أن يكون؟

بقلم : عبد الرحمن عبد اللطيف

— 3 —

المقطوع والموصول

يجب ان ترسم الكلمات التالية مقطوعة اى مفصولة على أحد قولين بذلك وهو الاصح فى رسمها وهى بئس ما يأمركم وبئس ما خلفتمونى وان ما عند الله بالنحل ولو ان ما فى الارض بلقمان . كما يجب ان ترسم « كلما » متصلة فى سورة النساء والمؤمنون على أحد وجهين بذلك وهو الاصح ، ونرسم « مما » متصلة ايضا على احد وجهين فيهما وذلك فى سورة الروم والمنافقون وهو الاصح أيضا ، وقد رسمت كلما ومما مفصولتين فى المصاحف وهو ضعيف

متفرقات فى الضبط

نرى لورش وجوب وضع الحركة على الهمزة ليقل شذوذ ضبط المصحف عن ضبط الرسم القياسى سواء كانت محققة او مبدلة او مسهلة وذلك فى نحو : يشاء الى وجاء اخوة وفى الهمزتين المتفقتين نحو : شاء انشره واولياء أولئك وهؤلاء ان كنتم على وجه التسهيل فيهن جميعا ، وكذلك فى نحو : أونبئكم وأأنزل وأئفكا وأأنذرتهم وءأنتم وأأمنتم بالملك وأءامنتم الثلاثة ايضا وفى أرأيت . وقد قال بذلك الامام التنسى فى كتابه « الطراز » والشيخ المارغنى

(*) راجع « الفكر » عدد 9 — س 24 — جوان 1979 .

فى كتابه « دليل الحيران » حيث قال : « تحرك الهمزة المسهلة على غير الوجه المختار وبه جرى العمل فى بعض البلاد » .

أما ضبط ألف الوصل والف « ال » التعريف فنرى ـ ليقل شذوذ ضبط المصحف برواية ورش عن غيره من المصاحف وليوافق ايضا الرسم القياسى ـ

ان توضع عليه علامة الوصل عند المشارقة وهى (~) ولا تنقط الالف ولا تشكل معا اللهم الا اذا كان الف الوصل فى فعل ثالثة مضموم نحو : انظر وما استجيب وللانسان اكفر فحينئذ ينبغى ان تنقط هذه الالف عند وسطها كما جرى عليه العمل لكن لا يوضع عليها الشكل ، وانما علامة الوصل المذكورة . وتحصل فائدة من تلك النقطة وهى معرفة الابتداء وانه يكون من الوسط اى لا بالفتحة ولا بالكسرة وانما بالضمة ، وبهذا الوجه نوحد العمل بين المشارقة والمغاربة ونعمل بما جرى عليه عمل الناس فى الرسم القياسى ، ويكون الضبط القرآنى غير شاذ ، ونرى ان توضع ضمة بلا همزة على الالف النقلى عند ورش ، وهذه الالف هى التى نقلت حركتها الى الساكن قبلها وذلك فى نحو : فمن اوتى واوانئى وبل اولئك ومختلفا اكله . واما وضع فتحة فى وسط تلك الالف كما هو فى المصحف الآن فانه وجه غير جميل ولا فائدة فيه بالاضافة الى شذوذه وغرابته عن الرسم القياسى أيضا .

ونرى لورش ان لا تعوض الفتحة بنقطة كبيرة تحت الحرف سواء وقع بعد تلك الفتحة الف لينة او الف مقصورة وذلك فى نحو : الهدى واعطى واجتباه والدنيا وسماكم وهداهم ، لان وجه الفتح فيها كلها مقدم لورش على الامالة سوى ما كان من الفواصل أى قبل رؤوس الآى فى سورة طه والنجم والمعارج والانسان والنازعات وعبس وسبح والليل والضحى والعلق ، وسوى ما كانت امالة رائية فى نحو : الكافرين والنار وبشراكم والذكرى ورأى وكذلك الر والمر فالفتحة فى فواصل السور العشر المذكورة الواقعة قبل الالف المقصورة نحو : شديد القوى ذو مرة فاستوى ، وفى الامالة الرائية المذكور كالنار والكافرين وبشراكم ـ تحذف الفتحة فى كل ذلك وتعوض بنقطة كبيرة اشارة الى امالتها وجها واحدا عند ورش ، اما بقية امالات القرآن الاخرى فلا ينبغى تعويض فتحتها لما ذكرنا من تقديم الفتح فيها على وجه التقليل .

وهناك أحرف زائدة فى بعض الكلمات يجب ان توضع عليها علامة السكون عند المشارقة وهى رأس خاء بلا نقط (ح) وذلك اشارة الى زيادتها وتلك

الاحرف هي الالف في لا أذبحنه ولشاىء في الكهف وملائه ومـلائهم ومـائة ومائتين وييائس وتايئسوا وفي ان تبوءا وفي لتنوءا لاننـا قلنـا آنفـا رسـم الهمزتين الاخيرتين في السطر ووضع علامة الزيادة على الالف الثابتة آخـرا التي كانت صورة للهمزة عند المتقدمين والتي لا ينبغي ان تحذف لانها أصلية، وانما نزيد ما دعت الحاجة لزيادته وحسب ، وقد أخذنا هذا الوجه من وضع دارة على الالف في نحو : وثمودا بسورة والنجم وفي سلاسلا بلا تنوين كلاهما عند حفص . ونرى ايضا ان توضع علامة السكون المذكورة (ه) على الالف ايضا الواقع في آخر اسم الفاعلين في نحو : كاشفوا وناكسوا ومرسلوا وفي بنو اسرائيل وأولوا وعلى الالف الواقع بعد الواو في الفعل المضارع المفـرد أو المبدوء بالنون في نحو : ويعفوا عن السيئات وتبلوا كل نفس وما كنت تتلوا وقال انما ادعوا ربي وقل أندعوا وعلى الالف الواقع بعد الواو الكائن صورة للهمز في الفعل والاسم في نحو : تفتئـوا ولا تظمئـوا والملـؤا وامـرؤا وفي الربوا ايضا .

ويجب أن توضع علامة السكون المذكورة على الياء الثانية في بأييكم كمـا يرى الداني وغيره وفي بأييد وعلى الياء في أفاين معا ونباى وتلقاى وآناى وايتاى ووراى حجاب مع اهمال الياءات كلها من النقط . أما الالف الواقعة بعد واو الجماعة في نحو : قالوا وان يكونوا فينبغي أن تبقى على حالتها عليها دارة وكذلك الواو في نحو : اولاء واولات وأولئك واولوا واولى فتبقى عـلى حالتها عليها دارة كذلك لانها ليست زائدة في الرسم . وينبغي وضـع دارة مستطيلة على ألف لكنا بالكهف وانا الا الثلاثة وانا أيضا التي لم يقع بعدها همز قطع وذلك لتدل على زيادة تلك الالف وصلا وثبوتها وقفا فقط .

في رواية ورش يجب ان توضع على اللام فتحة وشدة ــ كما يرى ابو داود وكما ذلك في المصحف برواية حفص ــ في الكلمات التالية : الذى والذين والتي ولله ولو دخلت عليهن اللام نحو للذى وللذين وللتي فتح اللام الاول أو كسر اذ هي بلام واحدة فيالرسمين القرآني والقياسي ولا حذف فيهن فيهما وينبغي ان توضع الفتحة مع الشدة أيضا على مذهب ابي داود وكما ذلك في مصحف حفص ــ على اللام الثانية في : اللذين واللذان واللائي واللاتي والليل، وحيث قلنا آنفا بالحاق الاولى فيهن فلا وجه اذن لتعريتها من الشكل والشد . كما يجب ان يوضع الشد على الواو والياء الواقعتين بعد التنوين في نحـو : مهادا والجبال وقبضا يسيرا ، ولقد نص على ذلك علماء الضبط القرآني كابي

عمر الدانى فى كتابه « المقنع » ومشى عليه جماعة فى المشرق فى مصحف الامام حفص ، ونحن لا نرى اهمالهما من الشد لاننا لم نهملهما منها اذا وقعا بعد نون ساكنة ظاهرة مثل : « من ورائهم ومن يشاء » فاذا اهملناهما مع التنوين وجب اهمالهما مع النون ايضا ، ونرى وجوب وضع الشد على واو « يس والقرآن الحكيم ون والقلم » على مذهب النحاة ،° وقد قرئا عند ورش بالادغام وهو الاصل والمقدم له فيها عند جماعة ولذلك ينبغى ان توضع الشدة كما ذكرنا .

الالف الملحقة

فى رسم الالف اللينة يجب ان نأخذ بكل قول يثبتها لان الثبت هو الاصل فى الرسم ، أما الحذف فهو رخصة للاختصار وحسب . وعلينا ان لا نعول كثيرا على ابى داود فى رسمها الذى هو يكثر من حذفها كثرة ظاهرة . وانما نأخذ بمذهب الدانى وما جاء فى « العقيلة » للامام الشاطبى وشراحها ، وكذلك بقول ابى الحسن على بن محمد المرادى البلنسى الاندلسى وما جاء فى كتابه « المنصف » كما ينبغى ان لا نعتمد كثيرا على مورد الظمآن للشريسى الخراز وشراحه ، وانما نعتمد على مصادره الاصلية لانه ملخص من كتاب المقنع للدانى وكتاب العقيلة للشاطبى (24) ، وكتاب التنزيل لابى داود ، وحسبما اشتهرت سابقا قراءة الامام نافع بالمغرب فقط لا بما اشتهرت فى غير المغرب سابقا وحاضرا . ولقد رأينا المصاحف المطبوعة برواية الامام حفص فى المشرق كايران ودلهى بالهند وكراتشى بباكستان تعتمد على ما روى ابو عمرو الدانى بحيث يقل فيها الالف المحذوفة قلة ظاهرة . كما تأخذ كثيرا بتصوير الهمز كما ذهبنا الى ذلك فيما سبق ، وبذلك نرى دقة الضبط عند اخواننا المشارقة وقلة الشذوذ فى المصاحف المطبوعة عندهم برواية حفص عن الرسم القياسى فهكذا كانوا متقدمين علينا نحن معشر اهل المغرب كثيرا جدا . وينبغى لنا ان نأخذ بمذهبهم فى ذلك .

الوقف فى القرآن له أهمية عظيمة لذلك نريد الحاقه بموضوع الرسم الآن ونقترح أن تكون علامات الوقوف فى المصحف برواية ورش هى نفس علامات المشارقة فى المصحف برواية حفص لدقتها وتنوعها وضبطها لمختلف انواع الوقوف ، وذلك بدلا من الوقوف الهبطية عندنا التى تقسم الوقف الى ثلاثة

---

(24) هو القاسم بن فيرة بن خلف الرعينى الشاطبى ت 590

أقسام فقط وهي : كاف وحسن وتام . اما المشارقة فعندهم : وقف لازم ووقف ممنوع ووقف متعانق ووقف وصله بما بعده أولى ووقف بالعكس الخ.

نحن نرى في الاخذ بما جاء في دراستنا هذه (25) . واصلاحنا هذا الذي نقترح العمل بما جاء في كل جزئياته ـ الخير كله والواجب الاكيد وبذلك سوف لن يكون المصحف شاذا عن مألوف الرسم عند الناس ولا صعب القراءة كما يرى الاستاذ العبيدي وغيره لانه سيكون في المستقبل مطابقا لكل كتاب آخر في رسمه وضبطه اللهم سوى بعض الشواذ التي سوف نتناولها بالحديث والبحث في فرصة قادمة ان شاء الله . ونحن لم نخرج في هذ الموضوع عما قرره علماء الرسم والضبط في رسم المصحف ـ كما رأينا ـ ولم نخالفهم في قليل ولا في كثير في قواعدهم العامة ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

---

(25) هذه الدراسة تلخيص لجزء من كتابنا : « التحقيق في مباحث من علوم القرآن » من تأليفنا وهو ما يزال مخطوطا . وقد نشرنا فصلا منه وذكرناه في مجلة جوهر الاسلام عدد ماي 1974 ص 72

ننشر في الأعداد القادمة

دراسة مصطفى الحبيب بحري .... **سعيد أبو بكر**

شعر الصادق شرف (أبو وجدان) ..**هــو . !**

مسرحية (ج 2) فتحية العروسي .... **من وراء الأقنعة**

دراسة محمد الهادي الطرابلسي .... **بين العروض والايقاع**

ضد الــريح

شعر : أحمد المختار الهادي

... وأبحر عبر اخضرار العيون فكيف العيون تهون
ويصهرني الآن في كل حين توهج هذا الفتون
ترى ما الذي قد فعلت أنا في حياتي لتأسرني مرهفات الجفون ؟
تراني أصبحت طفلا صغيرا أمامك يا حلوتي البارده ؟
ومن نظرة منك أشعلت ناري وثورتها الخامده
ولكن كفرت بأن تطفئيها
وكنت تحبين نار المجوس وكنت إذن وثنيه
وعيناك ماذا أنا أرتئيها ؟
سوى شعلة قد تعالت هنا ذهبيه
تغوصين مني هنا في القرار
وأعجن شهوة عمرك نبض شبابك ما بين نار ونار
اذا احترق اليوم بالوهج هذا الستار
حرام نفيق ولكن غزانا ضياء النهار ...

* * *

لم نحن أخرنا الزمن

من أجل أن ألقاك زهره
ماست مع النسمات فى خضر الدمى
ورمت بريحتها تطوق مهجتى
وتذوب فى نارى الاكولة ها هنا لهبا وحمره
وتعيد سالف نشوتى
الله لو ناولتنى يا هند من شفتيك خمره
ولتذكرى يا حلوة الحلوات أن العمر مره

★ ★ ★

قد يقول الصحب عادت للحبيب إنما طيفك وهم وخيال
انت هل أخمدت من نارى اللهيب لتزيدى لرمادى الاشتعال

★ ★ ★

لا تقولى رجعت ان فؤادى يرفض النار من أيادى صبيه
فحرام حبيبتى نتلاقى بعد ان كنت أمنياتى القصيه
لا تقولى : أعود ، ذاك افتراء وهو نبض لشعلة ذهبيه
جربينى وأنت جربت نارى فى الليالى المجهولة المنسيه
حاولى حاولى وأنت بقربى أن تكونى مفتونة وغبيه
ان عمرى وإن تاريخ جرحى يرفض الآن أن تكونى نبيه
انت طوع البنان لا بد يوما إن تكونى لدى أنثى شهيه

★ ★ ★

أيتها المسكينه
أيتها الغائمة العينين يا قطتى الحزينه
أهواك فى التوجع المقهور

أهواك في البرد الذي قد يبعث الاحساس في من سكنوا البور
لكنما يا حلوتي ... يا ذئبتي
والارض اذ أحس أنها الآن اذا تدور
أشعر أني ملك كالنسر في الطيور
لكنني يا حلوة الحلوات لا أمتلك القصور
ولم أسجل كرة تدور
والحارس المسكين لا يدور
لانني مخفـور
لانني النسر الذي جناحه مكسور
كاللاعب الذي يلعب في الميدان يا صغيرتي لكنه مأسور

* * *

انني ألعب ضد الريح لكني أعاني
فلتعيشيني وعيشي في زماني ومكاني
آخر اللعبة لي ...
فلتكوني أملي أو مقبلي
أنا لن أخسر لعبة
عندنا آخر ضربة ...

احمد المختار الهـادي

من وراء الاقنعة

مسرحية : فتحية العروسي

الفصل الاول

« تبدو على الركح فتاة ثائرة .. ناقمة ... تتكلم بلهجة التحدى والغضب »

الفتاة : وجود بلا حياة ؟.. وحياة بلا معنى !.. ذلك هو الواقع الذى نطالعه من خلال الاقنعة التى تحاصرنا من كل الجهات ، « تصرخ فى حدة واغتياظ ؟ سحقا لها ولمعاولها التى تنقض علينا فى وحشية ساخرة .

الصوت 1 : « بلهجة هادئة » لا يجب أن نكتفى بمجرد الحياة المعنوية ... يجب أن نتحرر من الجمود ... يجب أن نعمل .. أن ننتج .. والا أصابنا الجمود ...

الفتاة : « تصرخ فى حدة » لكن متى تنهار هاته الاطلال التى تحجب عنا اشراقة المستقبل ومتى تنزاح عن كواهلنا بقايا الاحمال التى ما انفكت تثقل خطانا ؟ «تزداد لهجتها حدة» ومتى تتحطم بقايا القيود التى تشل حركتنا...؟؟

الصوت 2 : « مشجعا » إن آلامنا تشعرنا بالحياة .

الفتاة : « فى مرارة » اليبس يمتصنا ، الاشواك تخنقنا والصخور تفقدنا الحياة ... « تتغير اللهجة فتصرخ ثائرة » ـ ماذا نصنع بأشلاء الاحلام الملقاة على دروبنا ؟؟

الصوت 1 : « ساخرا » عالم غريب بأوضاعه المادية !

الفتاة : « تغتاظ فتصرخ متحدية » تبا للمادة ... ـ لقد طغت على النفوس تنخفض اللهجة وتتغير » فأصبح هذا العالم ـ عالما للمادة والجشع ...

الصوت 2 : « محاولا اقناعها » الحياة هى أطوار العمر التى تملك الانسان ولا يملكها الانسان

الفتاة : « بصوت خافت وكأنها تخاطب نفسها » ظننا الحياة رحيمة ، وهى التى ما وجدت معنا يوما الى الرحمة سبيلا .

الصوت 2 : « فى مرارة » نقلنا خطانا على مهل فاصطدمت بأسوار منيعة « ينخفض صوتها فى مرارة اليائس » عثرت عندها آمالنا بالانطلاق وما عرفنا أن القمر ستحجبه الغيوم ولا تشفق ...

الصوت 1 : « متهكما » ان تجمع التوافه يؤلف الجسام من الاخطار .

الفتاة : « تقاطعه فى سخرية » لكن الجرذان لا تمنع البلابل من التغريد !؟

الصوت 1 : « ما زال متمسكا بتهكمه » سهل علينا أن نفكر فى المشاريع ولكن التحقيق عسير !!

الفتاة : « تضطرب فجأة » ويحيى ..؟ ـ شعور بالتفاهة يصيبنى فجأة .. ترى ماذا أسمع ؟؟ « يشتد الضجيج وتظهر الاشباح على الركح ... » « الفتاة تتكلم فى انفعال » ضجيج الاقنعة كالمطارق ينهال على رأسى .. صراخى المرعب ينبث من صدرى المتورم ويضيع وسط الزحام .. أشباح مقنعة محمومة تركض خلفها بأيديها وأرجلها وجمع كيانها بتأكلها الشره

الصوت 1 : « مستسلما » فجوة من فجوات الكثبان تفتحت عن انسانية غريبة مقنعة وأخرى تائهة

الفتاة : « ساخرة » ما أحمقهم وأسخفهم !! « تتحول اللهجة من السخرية الى الغيض » لقد استعبدوا الناس لشهواتهم فاستعبدتهم الشهوة ...

الصوت 2 : « محاولا اقناعها » ان من أنكر ذاته الترابية أنكره الناس ومن اهتدى الى الذات السماوية ضمته اليها ؟؟

الفتاة : « تضطرب فى حيرة » لكنهم يصرخون بى لكى ... « تصمت لحظة تتحول إثرها لهجتها، تبدو كأنها تحادث نفسها أو تسائلها» أنسلخ عن ذاتى؟

ـ أحمل قناعا ؟؟ ... ـ لا .. لا .. لا .. لن أخشى .. انى أبغضك أيها القناع .. أبغضك « تتغير اللهجة من الحيرة والخوف الى ثورة ... فتتحدى » وسوف لن أحملك أبدا .. أبدا .

الصوت 1 : لكن كيف ذلك والزمن لاعب جشع؟ ـ كيف ذلك والهوة ظامئة أبدا ؟؟ « يتناهى الصوت بكلمة جشع ـ لاعب ـ هوة »

الفتاة : « يرتعد صوتها فتصرخ متحدية » لا ... لا ... « ينخفض الصوت قليلا » الاقنعة تنظر ولا تبصر ـ خلف الاقنعة أشباح تتحرك بلا ضمير ، وعقول تفكر بلا ضمير ، وقلوب تعيش بلا ضمير ...

الصوت 1 : « بلهجة ساخرة » ان الانسان يكره أن يرى عجزه مجسدا على وجوه الآخرين .

الفتاة : « ساخرة مغتاظة » الاقنعة طلاء خارجي وسراب مخادع ... ــ الاقنعة أصداف يقذفها البحر فتلتمع على الشاطىء .

الصوت 1 : لكن الانسان لا يستطيع أن يمنع النفس وهو قادر على ما يشتهيه هواه .

الفتاة : « تقاطعه غير مقتنعة » الانسان اذا ملك زمام ضميره استطاع النجاة بنفسه من كل الاشباح وماديتها .

الصوت 1 : « مستسلما » لكن الاقدار هى التى ترسم لنا الطريق قبل أن نبرز الى عالم الوجود .

الفتاة : « تصرخ » الانسان الحق هو الذى يشعر بحاجته الى متع معنوية واغذية روحية وأطعمة ذهنية « ينخفض الصوت » لا علاقة لها بالمادة والجشع .

الصوت 2 : « محاولا زرع الامل والطموح » الحكيم من يغـوص فى أعماق الواقع لاستخراج حقائق الاشياء ...

الفتاة : « فى ضيق » ما أشد غموض واقعنا ... !!

الصوت 1 : « متهكما » الحقيقة محجوبة بغمامة كثيفة لا ينفذ منها البصر

الفتاة : « تحتار » الاقنعة .. الاشباح ! كيفمـا انقلبت أراهـا عن يمينى وعن يسارى حينما أكون تكون .. « فى اغتياظ » تتلوى فى كل دقيقة وتتموج تحتها شهوات الارض .

الصوت 1 : « محذرا » انه لمن الصعب أن تجد نفسك بين أمرين لا يتفقان

الفتاة : « تضطرب » ويحى ... ــ انها تلتف حولى .. تحدق فى وجهى .. تلتهم نظراتى المنتصبة أمام عيونهم الزجاجية « تحاول الفرار لكن الاشباح تحاصرها » لا .. لن أصغى ــ الحياة لم تكن متعا وتجارة.. الحياة لم تكن جشعا واكتظاظا ومناعم بل الحياة انفتاح على معرفة واستكشاف للـذات الانسانية وتطلع الى الروح ... !!

« تلفظها فى انهاك ثم ينزل الستار »

« موسيقى مطابقة ... تتكلم اثرها الفتاة بصوت خافت مبحوح ... تسلط الاضواء عليها هى فقط »

الفتاة : ما اكثر ما تتسع الحياة على ضيقها لمواليد تضيق بهم الارض على سعتها « تتغير اللهجة الى سخرية » وتضيق بهم مدارك أمهاتهم !

الصوت 1 : « ساخرا » تلك هى الحياة ـ انها فجوة من فجـوات الطبيعـة جاءت بها عبثا وتذهب بها عبثا ، ولا موجب لتفضيل حالة على حالة .

الفتاة : « فى مرارة اليائس » ما أشد أن يسخر منا الزمن !؟

الصوت 2 : « محاولا بث العزيمة » ان من اتسع أفق فكره كان نبيلا !!

الفتاة : « بلهجة ثائرة .. مغتاظة » آه !! ليت لى قوة العواصف ان ضجت تلوى !!

الصوت 1 : « متهكما » ان التمرد سهل يسير ولكن وسائـل التحـكم فـى الغرائز صعب عسير ...!! « يتناهى الصوت بكلمة : عسير »

الفتاة : « ما زالت مغتاظة » لكن المجتمع هو الخط الاول والاخير للدفاع ضد عوارض الطبيعة التى تقاوم .

الصوت 1 : « ما زال متهكما » الاعمال تفاهة تتجمد عليها البسمات ويهمل الغد وتزدحم الاقنعة .

الفتاة : « مغتاظة » تبا لهذا القناع يا له من سلطان صارم السطوة يريد أن يخضعنا لاحكامه ...

الصوت 2 : « محاولا اقناعها » يجب أن تكونى واحة فى صحراء الزمن وعقلا ينتج فى عقم الدهر .

الفتاة : « فى حيرة ويأس » ولكن كيف يمكن للرسام أن يرسم الفجر وهو فى عتمات الليالى ... ؟؟ ـ كيف ...؟؟

الصوت 2 : « محاولا اعادة العزيمة اليها » على المرء أن يجاهد وسط أشواك من غرائز البشر ويقارع الزمن بسيف بتار !!

الفتاة : « فى مرارة » كم طافت أبصارنا تبتغى النور ... فشاهدته من خلال الاستار خيوطا ضئيلة « تزفر فى ضيق » لان اليد القابضة على هذه الاستار ضنينة علينا بالنور ـ المطلق ... « ينخفض الصوت » ... الغامر ..

الصوت 2 : لا بأس فالالم الكبير تطهير كبير ...!!

الفتاة : « فى احتقار » قلوب من صوان وعيون من زجاج جعلت منهما المادة والتقاليد البالية « تتغير اللهجة الى السخرية » أشباحا مقنعة .

الصوت 2 : المجد أن تكون كبيرا بين الصغار وشريفا بين الانذال !...

الفتاة : « تصرخ فى ضيق » ولكن متى تضيع المواهب فى القمم وتنحدر الحروف عن الاصابع المدماة ويتدفق الخير فى القلوب والضمائر ؟؟...

الصوت 2 : « معيدا اليها العزيمة » سيكون ذلك عندما تبلغين الاعالى دون أن يصيبك دورا ...

الفتاة : « فى حيرة » ولكن المجتمع يضج بالاقنعة التى تدمر شخصيتنا « ينخفض الصوت » فتتبخر كعين الماء الصافية تستحيل بخارا لتندمج فى البحر المالح ...!! « كلمة « المالح » تلفظها بصوت خافت يائس ...»

الصوت 2 : « معيدا اليها العزيمة التى فقدتها » الانسان من يعيش فى المجتمع لا ليذوب فيه ، بل ليخلع عليه المحبة والنور والعلم ـ فلا يكون عالة عليه ولا آلة تحركها الاهواء ...

الفتاة : « بصوت مختنق » ولكن الدمعة لا تجاور البسمة فى المحيا الواحد !

الصوت 2 : « محاولا اقناعها » يجب أن تتحولى الى صخرة صلبة فى وجه الليالى الكالحة !

الفتاة : « مغتاظة » لو مزقنا الاقنعة لكان للناس أبصار تخترق الظواهر لترى الاقدام المدماة الكثيرة ما تمزق عليها من ليال وما نزف من دم الاصابع « تتغير لهجتها هنا متحولة الى سخرية مرة » ولكن بصر المستلقى لا يقع الا على سقف الغرفة .

الصوت 1 : ان الزمن يتحكم فى احساساتنا كما يتحكم فى وجودنا المادى ...

الفتاة : « ثائرة » لكن الانسان مجموعة من الاحساسات قبل أن يكون كائنا ماديا

الصوت 1 : « مستسلما » الانسان هو الانسان !... قد يتسامى به العقل من أعماق الكهوف الى أطباق القصور ، ولكن الغريزة تبقيه محكوم النفس .

الفتاة : « ساخرة ثائرة » لانه يقصر عن فهم الحقائق الابدية ولا ينفذ من وراء الظواهر الى شيء « ينخفض الصوت ساخرا » غير المصادفات والاوهام...

الصوت 2 : « ينبعث » لو كانت الحقيقة صغيرة سهلة لرآها كل انسان على صورة واحدة . ولما اختلف الناس على صورها . ولكنها تعظم وتتسع .

الفتاة : « بصوت مرتفع » ما أعظمها « ينخفض الصوت » وأصعب الاحاطة بها من جميع جوانبها !!

الصوت 1 : «يجيب ساخرا» إنها محجوبة بغمامة كثيفة لا ينفذ معها البصر

الفتاة : « فى سخرية مرة » لكن العين لا ترى نفسها الا بمرآة « ينخفض الصوت تبدو اللهجة مختنقة » والنفس لا ترى شخصها الا بمحاولة للتجريد .

الصوت 2 : « ينبعث مرتفعا » الحقيقة لا تتجمع كلها عند انسان .. انما هى منتشرة وموزعة ..

الفتاة : « فى حدة » لكنها علقم فى كثير من الاحيان ...

الصوت 2 : ان حكمة الحياة فى المجتمع ينبغى أن تتسع لكل شعور فى كل نفس حية ، ومن هذا الشعور ـ شعور الرضا والسخط وشعور الامل واليأس وشعور الاقبال والاعراض

الفتاة : « بلهجة التحدى والثورة » لا .. لن أحمل قناعا يحجب نور الحقيقة عن بصرى « تتغير اللهجة من التحدى الى النقمة » ينتزع الاحساس من صدرى « ينخفض الصوت قليلا ولكن اللهجة لا تتغير » يدفعنى فى زحمة الاشباح !!

الصوت 1 : « ببساطة » انما الحياة ...! يتجاور فيها العنصران الوضيع والرفيع ، كما يتجاور الجد والهزل وفى الانسان العنصران معا

الفتاة : « شبه حالمة بصوت خافت » كم يروق لنظـراتى ! ان تتبـع فى خطاى الحالمة الطريق الصعب وكم أود أن أرى الشمس المشرقة ذات الاشعة الساطعة ... « تزفر فى يأس وتتغير اللهجة » والتى لا تكاد تنفذ الى صدرى فى ظلام الواقع .. !!

الصوت 2 : « بلهجة قوية » ان التأمل فى الحياة يقود الانسان الى آفـاق فسيحة فى جوانب النفس الانسانية ، يرتاع أمامها من يكتشفها !!

الفتاة : « ما زالت لهجتها منخفضة وشرودها متواصلا » لكن التأمل يوحى الينا باللانهاية .

« نغمات موسيقية مطابقة لا تطغى على الكلام » والتفكير يوحى الينا بالابدية ! واللانهاية والابدية صفتان من صفات الله .

الصوت 2 : « محاولا اعادتها الى الحياة واقناعها بحتمية الواقع » لكنك بذلك تبتعدين عن واقع الحياة ...

الفتاة : « لا تزال مصرة على موقفها من الحياة » لكن عين بصيرتى مفتوحة أبدا وسط الظلمات ... !!!

الصوت 1 : « ساخرا » كثيرا ما يتمتع المرء بما تفرد به دون الناس ، حتى لو كان ما تفرد به هو الشقاء ... !!

الفتاة : « فى اضطراب وحيرة » ويحى ... ـ أشعر وكانى دولاب يدور يمنة بين دواليب تدور يسارا « تصرخ بكلمة : لا ... لا ... لا ... لا ... « تبتلع الموسيقى الكلام »

الصوت 1 : ان التمرد النظرى لا يتجاوز الا التجديف بعالم الغيب

الفتاة : « مغتاظة » لكننا نريد أن نشعر بوجودنا فى جو طلق لا يجرفه تيار المادة ... ـ نريد التوازن .. نريد الانسانية .. نريد الكرامة .. نريد الشخصية ...!! « تصرخ بالكلمات الثلاثة »

الصوت 1 : « ساخرا » ان المادة طبيعة فى المزاج !!

الفتاة : « بلهجة يائسة » لا بد ان تكون للمرء أهداف نبيلة تقود خطاه فى الحياة » تزفر فى ضيق » والا انعدمت الحياة ...!!

الصوت 1 : « فى انهزام » ان الزمن يتحكم فى احساساتنا كما يتحكم فى وجودنا المادى ...

الفتاة : « فى حدة » لكن الانسان مجموعة من الاحساسات قبل ان يكون كائنا ماديا .

الصوت 2 : « بلهجة قوية » الحكيم من تجاهل كل مظاهر الاشفاق الموحية بالعجز .

الفتاة : « تصرخ بقوة » ولكن الزمن لا يرحم حتى مشاعرنا

الصوت 2 : يجب ان تكون فينا زهرة لم ترتو ، وجوع لم يشبع ، ورغبة لم تنل ، وصيحة لم تسمع ... !!

الفتاة : « بصوت مختنق تبدو مغتاظة » لكن الفشل سوس ينخر القلب « ينخفض الصوت » فيشل العزيمة ويضيق آفاق النفس !!

الصوت 1 : « آمر » يجب أن نعيش فى بطن الكون بحدود مرسومة وقواعد مهيأة

الفتاة : « تتساءل فى اصرار » لكن لماذا لا نحكم العقل؟؟ « ينخفض الصوت قليلا » ما دام الله قد وضع فى رؤوسنا الحكمة لنرى بها !؟

الصوت 2 : انها المادة تعمى بصائرنا أحيانا عن رؤية عجزنا الآدمى

الفتاة : « فى اصرار » لماذا لا نقيم من نفوسنا سدا يقاوم الاغراء ؟

الصوت 1 : « مجيبا عن السؤال » لان الغريزة صلبة جامدة ، حريصة على تراثها العتيق تحفظ به ، ولا تتنازل عن شيء منه !

الفتاة : « تعارضه بصوت مرتفع » لكن العقل نـزاع الى التـجـدد ولـوع بالاستحداث « ينخفض الصوت قليلا » مجتهد فى التغيير ...

الصوت 1 : الانسان قسمة بين عقله وغريزته ، وهما مختلفان فـى مـدى استعدادهما لقبول التطور !

الفتاة : « فى هدوء » ان الرجوع باليقين الذى تطمئن اليه النفس من حيث وجودها والغاية من وجودها « هنا يرتفع الصوت » لن يتم الا بغربلة النفس من شوائبها

الصوت 1 : ان الجسم كله يخضع للجنين ما دام فيه ، ولكن المجتمع كله لا يخضع للفرد الذى هو فيه « يصمت قليلا » يتخبط فى مياهه العميقة

الفتاة : « مغتاظة فى حدة » مذاهب الحياة وشهواتها وحماقاتها ... تلبست بعض العقول كما يتلبس أمثالها بعض الطباع « ينخفض صوتها ساخرا » فكانت المهزلة ، « تزفر » وكان الجشع .

الصوت 1 : « ساخرا » فما أفلح الا من اغتنم الامكان .

الفتاة : « فى مرارة » ما أتفه الضعف ؟؟ ـ أجساد تدفنهم معانى التراب وهم أحياء فوق التراب يحدهم الجسم من جميع الجهات

الصوت 1 : « مستسلما » لكننا نغوص فى دنيا باطننا لا نملك فيها أخذا ولا ردا الا ما تعطى وما تمنع .

الفتاة : « بلهجة ساخرة » كلمات لا حقائق ، وظل طامس ملقى على الارض اذا قابلته بتفاصيل الجسم الحى السائر على الارض ...!!

الصوت 1 : فما المرء الا ثمرة تنضج بموادها ، حتى اذا نضجت كان مظهر كمالها ومنفعتها فى الوجود أن تهب حلاوتها .

الفتاة : «فى مرارة» عالم يختنق بما تثيره آثامه من غبار ودخان .. «تضطرب ثم تواصل بصوت مختنق» ويحنا .. ان دخانه يعمينا وغباره يؤذينا .

الصوت 1 : الرغبة لا تشبع لانها تقطن عالما محدودا

الفتاة : « بصوت مرتفع » ان المخالب فى الانسان الاول قد تطورت الى أسلحة « ينخفض الصوت ساخرا فى مرارة » ولكن وسائل تحكمه فى غرائزه لم تتطور الى حد يمكنها فى كل الاحيان من السيطرة على القوة المنطلقة !... ومن هنا الاخفاق .

الصوت 1 : انها الحرب القائمة فى أغوار الانسان لم نكن قد أسفرت عن وجهها الحقيقى... تلك الحرب بين غريزة السيطرة والطموح بين القدرة الجامحة والحكمة العاقلة .

الفتاة : « تصرخ فى حدة » كل ذلك لم يكن الا ضيقا بالحياة وافتقادا لهذا النور الذى يحببها الى النفس

الصوت 2 : المجد أن تكونى زنبقة فى مستنقع وحبة قمح فوق الصخور ...

الفتاة : « فى مرارة » ما أعسر مسالك الحياة !! « تتحول اللهجة الى سخرية » تطلب أن تطاع على حين أنها تأمر بما لا يستطاع ...

الصوت 2 : يجب أن تظهر فيك العظمة الروحانية آمرة لاناهية فى المادة مأمورة منهية بها .

الفتاة : « ثائرة » لكنه الارغام ليقع به التيسير ، واكراه لتتطلق به الرغبة وقيد لتتجمد به الحرية .

الصوت 2 : « مهدئا » ولكنه هو نفسه بلاء من ناحية ليكون هو نفسه عصمة من الناحية التى تقابلها .

الفتاة : « تقاطع الصوت ثائرة » ولكن الجمال يستمد من الداخل « ينخفض الصوت » قد يكون اليوم وهما ... ولكنه حقيقة الغد !!

الصوت 1 : « بصوت مرتفع » الحكيم من سهل لذاته طريق العودة باعتاقها من روابط الوجود .

الفتاة : « فى مرارة » انما الحياة الارضية عذاب لانها سلسلة شهوات واهواء ومطامع تؤدى بنا الى الانهيار ..

الصوت 1 : « متهكما » ان الرضا عن النفس يدفع الى الخمول .

الفتاة : « متحدية فى ثورة » ولكن كل ما حوالينا يضغط علينا فى دنيا كل ما فيها طفيلى تافه .. الاشباح .. ـ الاشباح الرهيبة تلاحقنا .. تشد على قلوبنا بكلاليب من حديد

الصوت 2 : « مرتفع » الحياة امتداد لانتصار الممكن على صعوبة المستحيل .

الفتاة : « ثائرة .. متحدية » لن يكون لك من سيطرة علينا أيتها الاقنعة « تبدو مغتاظة » ـ سوف نتسلق الصخور الشاهقة .. سنتقدم بعيدا بقدر ما يستطيع أن يحملنا الحاضر ، وننطلق بكل ما يحد بصرنا ..!!

الصوت 2 : « مشجعا » التمرد نبيل فى الغالب يدل على القوة والحياة ـ « يتناهى الصوت بكلمة القوة والحياة » ينزل اثرها الستار موسيقى تصويرية تطابق الثورة والتحدى . يرفع إثرها الستار وتظهر الفتاة .

فتحية العروسى

ـ يتبع ـ

بهذا العدد تنهى « مجلة الفكر » سنتها الرابعة والعشرين وتدخل فى عطلتها السنوية طيلة شهرين متمنية لقرائها واحبائها عطلة ميمونة . وفى غرة أكتوبر تستهل المجلة سنتها الخامسة والعشرين . فالى اللقاء .

قدر الشعراء

شعر : محمد علي الرباوي
(وجدة)

أذكر أني لما كنت بلا قنديل
ممتدا ما بين ذراع الوحده
قد كنت أرى شفتي أبريل
في رقص ، وأنا أخنق أنفاس الوحده ،
وأنا أحلم أني جد .. أحلم أنك جده .
قد كانت أحلامي خضراء ،
كخدود الروضة ، قد كانت خضراء .
وهربت .. هربت .. هربت من الوحده
قبلت غلائل وجده
علقت الأشعار على ثغر الطير
وكتبت .. كتبت بحبر أخضر : اني الآن بخير
لكن ظلال الوحدة كانت تتبعني
تخنق أنفاسي ، وتمزقني
وتوسخ وجنة أحلامي ، وأظل بلا أحلام
ملقى في سرداب الأوهام
كرة دكناء
تقذفها الأيام
ترميها بين شفاه الصحراء ،
هذا قدر الشعراء .
هذا قدر الشعراء .

محمد علي الرباوي
(المغرب)

رادس

شعر: محمد المنوبي سعيد

بهـا حللـت زائـرا	فصرت فيها شاعـرا
لا أحبس الحـرف اذا	أراد أن يســافـرا
كالسندبـاد سائـرا	حينا وحينـا طائـرا

رادس الأنس جنة لا تضاهى ببساتينها وخضر رباها
لو رأيتم صاحبها إذ تبدى وتراءت في موكب من رؤاها
لرأيتم مـواكب النـور فيهـا قد أنـارت بطاحهـا وذراهـا
وانتشيتم بصوت طيرهـا لمـا سبـح اللـه خـالقـا وإلاهـا
والندى قبل الـورود بشـوق فاستفاقت تذيع فينا شذاهـا
رقصت للنسيـم هـب عليهـا وأرتنـا بـراعمـا وشفـاهـا
انهـا رادس الجميلـة تبـدو بنت عشـرين زينت بحلاهـا
من نجوم السماء صاغت عقودا ومن الروض بردهـا ورداهـا
لو رأى السندباد حسن بلادى ما امتطى لجة البحـار وتاهـا
ولأرسى وقال : حسبى طواف هـذه الجنة التـى أهـواهـا
طهرت من شوائب الرجس حتى لبست للعفـاف ثـوب تقاهـا
وصفت عيشـة وراقت مـزارا وهـواء معطـرا ومـيــاهـــا
ماء (طرازها) القراح شفـاء يهب النفس سؤلهـا ومناهـا

ليس لى ما أريده غير أنى ... أكل ما أشتهيه أنى أراها
لا تلوموا اذا المحب تصابى ... واعذروه اذا الفؤاد اشتهاها
أنا مذ زرتها سعدت بعيشى ... وعرفت الحياة فى معناها
كلما جئتها لاطفىء شوقا ... ضاعف الشوق في الجنان بهاها
بين أمرين : فرقة ولقاء ... بلغت حيرتى مدى منتهاها
رادس الحسن شهرزاد بلادى ... وأنا شهريار من أسراها
حدثتنى عن شاعر عبقرى ... من بلاد النخيل من أقصاها
هذه ساحه (1) تحدث عنه ... اسألوا الساح من يكون فتاها؟
وعن القيروان وابن (2) رشيق ... عمدة الشعر فرقد فى سماها
رادس الأنس جنة لا تضاهى ... ببساتينها وخضر رباها

محمد المنوبى سعيد

---

(1) اشارة الى الشارع المسمى : ساحة الشابى .
(2) أشارة الى الشارع المسمى : ساحة ابن رشيق .

الذكرى الثالثة والعشرون لاستقلال تونس

شعر : عبد المجيد البراري
(موريتانيا)

الدهر انصفنا من بعد مظلمة ... والعيد يغمرنا بالفرحة الكبرى
عيد التحرر من جهل ومن سغب ... الى حياة تنيل العز والفخرا
عيد التحرر من قهد يكبلنا ... ونير مستعمر قد أثقل الظهرا
كم قد ابيحت لهم من قهرنا حرم ... فاستنزفوا دمنا واستسهلوا الوعرا
كم حاولوا مسخنا، واستهجنوا لغة! ... وحاربوا ديننا ! واستحسنوا الكفرا
فيقض الله للخضرا أماثلها ... فايقظوا شعبنا من نومة نكرا
بورقيبة اختط تصميما للحمة ... قد غيرت ما بنا ، بل حققت نصرا
وصاح قائدنا : هيا احدثوا غيرا ... وجرعوا الخصم كأس الثورة المرا
فاستأسد الشعب في أرض لنا فديت ... بأنفس ظهرت قد خلدت ذكرا
وكان نفى وتعذيب لقادتنا ... وأوغل الوحش (1) في أرجاسه نكرا
حتى غدا الوغد (2) مرذولا بقحته ... وطأطأ الرأس اثر الوقعة الكبرى
وأيدتنا شعوب الارض صارخة : ... لا عاش فى الكون شعب لم يكن حرا
عشرون مارس يا ذكرى بها نبلت ... بلادنا نعم ذاك العيد في الخضرا

عيون العتروس (موريتانيا)
فجر يوم الثلاثاء 20 مارس 1979
عبد المجيد البراري

---

(1) الجنرال قربى .
(2) المقيم العام جان دى هكتلوك .

رحلة البلوي بين النقد والعرض

تأليف : خالد بن عيسى البلوي
نقد وعرض : أحمد الشتيوي

تقديم الكتاب : (*)

صدر الجزء الاول من « تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق » وهى رحلة قام بها خالد بن عيسى البلوى الاندلسى بداية من يوم السبت 18 صفر 736 هـ (1335 م) الى غرة ذى الحجة سنة 740 هـ (1339 م) فيكون بذلك قد غاب عن وطنه الاندلس مدة خمس سنوات تقريبا .

التعريف بالكاتب :

هو أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد بن ابراهيم بن أبى خالد البلوى القتورى (1) . ولد بقتورية (2) حيث كان والده قاضيا بها . ويبدو أنه ولد حوالى سنة 713 هـ (1313 م) لانه عندما ارتحل الى بلاد المشرق سنة 736 هـ كان شابا فى مقتبل العمر . قال عنه ابن الخطيب فى الكتيبة الكامنة : انه راح الى المشرق مع اخضرار العود وسواد المفرق .

تلقى البلوى العلم بمسقط رأسه فقرأ القرآن ومبادىء العربية ثم درس القراءات السبع عن اثنى عشر شيخا ثم اخذ يجوب عواصم الاندلس بحثا عن الشيوخ والعلماء فانتقل بين غرناطة ومالقة كما ارتحل الى تلمسان وتونس والاسكندرية والقاهرة والقدس وكان ذلك اثناء توجهه الى البقاع المقدسة

(*) قام بتحقيق « رحلة البلوى » الاديب المغربى : حسن السايح .

(1) نيل الابتهاج ص 99 ـ لأحمد بابا التنبكتى
شجرة النور الزكية ج 1 ص 227 الطبعة الملكية لابن مخلوف .

(2) انظر تعليق ص 25 من الجزء الاول من تاج المفرق تحقيق الحسن السائح .

لأداء فريضة الحج . وبعد هذه الرحلة الطويلة عاد الى قتورية فأصبح فيهـا معدودا من رجال الفكر والفقه والادب وتولى القضاء هناك ثم انتقل الى القضاء ببرشانة وهناك أتم كتابة رحلته . ومن الملاحظ ان هذه الرحلة تعتبر أهم آثاره التى وصلتنـا .

أما وفاته فقد جعلها الزركلى فى أعلامه (3) سنة 765 هـ / 1364 م . ويعارض الاستاذ الحسن السائح هذا الزعم مبينا « أن المؤلف أتم كتابة رحلته فى اليوم الاخير من شهر ربيع الاول عام 767 هـ ببرشانة واذن فقد عاش بعد هذا التقدير على ان من المحقق انه توفى قبل 680 هـ لان ابن الخطيب ذكره فى الريحانة التى ألفت سنة 680 وترحم عليه » (4) .

وصـف الكتـاب :

1 ــ من الخارج : الجزء الذى صدر من رحلة « تاج المفرق » مطبوع فى مطبعة فضالة ــ المحدية ــ بالمغرب تحت اشراف اللجنـة المشتركـة لنشـر التراث الاسلامى بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربيـة المتحدة . وقد جاءت هذه الطبعة بدون تاريخ فلم يعثر عن أى تاريخ للطبع أو للتحقيق . وهذا خطأ ما زالت دور نشر عربية كثيرة تهمله ولا توليه أهميـة فلا نستطيع بذلك مراقبة تطور الابحاث والتحقيقات . واذا كان شكل الكتاب واللون جالبين لنظر القارىء فان الكتابة اكثر جاذبية . وهـذه ميـزة هـذه الطبعة . الا انك اذا تمعنت فى الارقام فانك ستلاحظ عدم توافق أحيانا بين ما هو فى المتن وبين ما هو فى الهامش واحيانا أخرى تجد الرقم فى الهامش دون أن تجده فى المتن والعكس صحيح . ومن الاخطاء الشائعة ، حذف بعض الحروف أو تعويض حرف بحـرف وهى أخطـاء تبـدو بسيطـة الا ان ذلـك معرة تشيين . وعلى دور النشر ان تتخلص منها خاصة بعد ان تطـورت آلـة الطبع .. بقى أن نشير الى ان الورق المستعمل فى هذه الطبعة صقيل وجيد وعدد صفحات الكتاب 318 صفحة .

2 ــ من الداخل : ونعنى بوصف الكتاب من الداخل تحقيقه وتقديمه فما هى قيمة هذا التحقيق ؟

لقد قام بتحقيق هذا الجزء وقدم له « العـلامة حسـن السائـح » فاعتنى المحقق بوضع مقدمة قيمة لهذا المؤلف أتى فيها على العناصر التالية : ترجمة

---

(3) الاعلام الزركلى ج 1 ص 67 .

(4) ص 226 من تحقيق الحسن السائح .

البلوى ثم الجانب التاريخى لرحلة البلوى ثم الجانب الادبى فى رحلة البلوى ثم الجانب الجغرافى للرحلة ثم الجانب الوثائقى للرحلة ويختم المقدمة باثبات معجم باسماء المؤلفين المغاربة فى فن الرحلات . وتمتد هذه المقدمة من الصفحة الاولى الى الصفحة 137 . وهى مقدمة تكشف عن جوانب متعددة لهذه الرحلة الحجازية فتضىء سبيل القارىء وترشده الى قيمتها .

ولا شك فى ان رحلة البلوى تستحق هذا الاهتمام وهذه العناية وبالتالى هذه المقدمة التى حاول فيها صاحبها أن يلم بجوانب الموضوع فما هو العمل الذى قام به فى هذا الكتاب وهل استجاب هذا العمل للمنهجية العلمية فى تحقيق الكتب ؟

ان الجهد الذى بذله المحقق يدل على عنايته بهذه الرحلة . والسبب فى ذلك يعود لقيمتها التاريخية وخاصة الادبية وقد تفطن المحقق لهذه الاهمية الا أن عمله بالرغم من جديته وصرامته فى تحقيق الاحداث والتواريخ فانه لم يكن خاليا من عدة عيوب كان على المحقق ان يتلافاها حتى تكون نتيجة التحقيق ايجابية ويبدو ان الاستاذ حسن السائح قد تفطن لما قد يقع فيه من معايب فى التحقيق اذ قال : « ... وعندما كنت أحقق المخطوط خالجتنى عدة أفكار كتحقيق تراجم بعض الاعلام والكلام على بعض المؤلفات التى يشير اليها البلوى وتعاليق عن الاجازات وآثارها فى طريقة التعلم فى المغرب والمشرق وموضوعات أخرى تتعلق بالاماكن التى زارها البلوى ولكنى لاحظت أن هذا سيؤدى الى اخراج الكتاب فى جزأين وسأشغل القارىء عن مسايرة الرحالة حيث أجره الى الدرس والتفكير بدل أن أدعه يتجول مع البلوى فى رحلته لذلك فقد اختصرت من التعاليق جهد الاستطاعة .. » (ص 9) .

وهذا الاتجاه الذى نحاه المحقق لم يعصمه من اهمال جوانب لا بد منها لافادة القارىء . وبما ان غاية كل محقق هى أن يخرج النص المحقق اخراجا حسنا يسهل قراءته واستغلاله فى أيسر جهد وأقل وقت . ولذا نرى أن الاستاذ حسن السائح قد أهمل أمورا « لا تشغل القارىء عن مسايرة الرحالة » انما تضىء الطريق أمامه فيستفيد اكثر من هذه الرحلة الممتعة ومن الجوانب التى أضرت بالتحقيق نذكر :

أ ــ لا بد من وضع عناوين تقسم النص الى فقرات حتى لا يبقى القارىء يتابع الرحلة دون ان يتفطن الى مراحلها .

ب ـ من المفيد ذكر اسماء المترجم لهم فى عناوين تسهل التعرف عليهم والرجوع اليهم ان احتيج لذلك .

ج ـ من المفيد أيضا أن تقابل التاريخ الهجرى بالتاريخ المسيحى خاصة وقد تعود القارىء على استعمال التاريخ المسيحى فى حياته اليومية .

د ـ ومن الضرورى فى كل تحقيق ان نشير الى اختلاف نسخ المخطوطات خاصة وقد تعددت نسخ « تاج المفرق » كثيرا .

هـ ـ ومن المحبذ أن تذكر بحور الاشعار التى وردت فى الرحلة ، وهى كثيرة .

ان الملاحظات التى ذكرناها لا تعطل « مسايرة الرحلة » هـذا اذا وافقنا الاستاذ المحقق على ان « تاج المفرق » قصة أو شىء كالقصة الغاية منه مصاحبة الرحالة دون تفكير ، بل انها ملاحظات تساعد القارىء وتمكنه من الاستفادة مما يقرأ .

واذا قبلنا عذر الاستاذ المحقق فى عـدم الاكثـار « مـن التعاليـق جهـد الاستطاعة » أثناء تحقيق النص فاننا لا نقبل عذره ـ وان لم يشر الى ذلك ـ فيما يهم اهمال الفهارس . وهذا الاهمال تقصير فادح فى التحقيق لا يمكن أن نتغافل عنه . ولذا نرى أن الفهارس التى يجب أن تتوفر فى « تاج المفرق » هى التالية :

1 ـ فهرس الاعلام
2 ـ فهرس الاماكن
3 ـ فهرس المؤلفات
4 ـ فهرس الاشعار

وباختصار فاننا نرى أن هذه الطبعة « لرحلة البلوى » « تـاج المفـرق » طبعة رديئة توفر فيها عدم العناية وعدم الحرص على الجد . ولذا جـاء هـذا الكتاب فى شكل مخطوط مطبوع بخطوط واضحة .

التعريف بمحتويات الرحلة :

ننطلق فى التعريف بمحتويات « تاج المفرق » من فقرة أوردها البلوى فى الصفحات الاولى من كتابه فقد قال « هذا تقييد أطلعه عون من الله وتأييـده

قصدت به ضبط موارد الرحلة الحجازية وذكر معاهد الوجهة المشرقية جعلها الله تعالى فى ذاته وابتغاء مرضاته بمنه وكرمه وألممت مع ذلك بذكر بعض الشيوخ من العلماء الفضلاء الذين يطؤون ذيول البلاغة ويجرون فضول البلاغة ولهم كلام يتألق منه شعاع الشرق وتترقرق عليه صفاء العقل وينبث فيه فرند الحكمة ويعرض على حلى البيان وينقش فى فص الزمان .. وألمعت بذكر نبذ من فوائدهم واختيار طرف من أناشيدهم ومزجتها بما جرت اليه العبارة وحسنت فيه الاشارة من قطع الشعر المناسبة قطع النور المنتظمة من جواهر اللفظ البعيدة الغور القريبة الحفظ ... » (5)

ومن خلال ما أوردنا نلاحظ أن « تاج المفرق » يحتوى على عنصرين أساسيين هما : ذكر مراحل طريق الحج أولا والترجمة لاساتيذه ثانيا . وقد أكد على ذلك مرة أخرى حين قال « ... انى خرجت قاصدا للحج وطالبا للعلم ... » فما هى فوائد هذه الرحلة ؟

1 ـ مراحل طريق الحج :

انطلق البلوى فى رحلته من بلدة قتورية وهى حصن من حصون المنصورة من أعمال غرناطة متجها الى مدينة ألمرية عن طريق البحر الى أن وافى مرسى هنين بالمغرب الاقصى ثم انتقل الى مدينة الجزائر ثم بجاية فقسطنطينة فبلد العناب (وتسمى أيضا : بونة) ثم وصل الى حضرة تونس المحروسة ، ومنها ركب ثانية فى المركب مع نحو ألف راكب الى جزيرة (مالطة) ومنها الى الاسكندرية فالقاهرة فغزة فمدينة الخليل فمدينة بيت المقدس فالبقاع المقدسة (المدينة المنورة ثم مكة المكرمة)

وبعد أداء فريضة الحج يقفل راجعا بداية من 16 محرم سنة 738 هـ فيتبع نفس مراحل الذهاب تقريبا ويعود من الاسكندرية الى تونس عن طريق طبرق (برقة) وبعد ان أعرض عن ركوب البحر اثر زوبعة كادت تغرق السفينة التى كان يركبها .

واذا نظرنا فى المراحل التى قطعها البلوى فى هذه الرحلة فاننا نلاحظ أنها لا تختلف كثيرا عن المسلك الذى سلكه ابن جبير أو غيره من الرحالين

(5) ص 142 من تحقيق الحسن السائح .

ولذا نستنتج أن تسطير البلوى لهذه المراحل لا طرافة فيه . لكن ذلك لا يعنى أن الفائدة منعدمة من هذه الناحية اذ عمد المؤلف الى طريقة جديدة لوصف هذه المراحل فما هى خصائص الوصف عند البلوى ؟

1 ـ تحديد المسافات : أول ما يسترعى الانتباه فى « تاج المفرق » أن المؤلف لا يحدد المسافات الا نادرا فهو يهمل هذا الجانب لاطلاع الناس على المراحل التى يقطعها الحاج الى البقاع المقدسة ذهابا وايابا ، خصوصا اذا أضفنا الى ذلك أن قوافل الحجيج تكون مصحوبة عادة بالادلاء وأحيانا بالعسكر لحمايتها من قطاع الطرق وعصابات اللصوص والاعراب . ومع ذلك يشير المؤلف أحيانا الى تحديد مسافة كقوله « .. أبو جردة .. على اثنى عشر ميلا من الخضرة » (6)

2 ـ وصف المدن : ان اهتمام البلوى بوصف المدن ليس فى نفس الدرجة. فأحيانا يذكر اسم المدينة مشيرا الى موقعها مثل حديثه عن مدينة الجزائر التى « أحاط بها البحر احاطة السوار بالزناد » (7) واحيانا أخرى يتوسع فى الوصف فيتعرض الى تاريخ بناء تلك المدينة وآثارها العظيمة ومفاخرها العجيبة من ذلك حديثه عن الاسكندرية (8) أو القاهرة (9) . وبصفة عامة يمكن أن نحصر خصائص وصف المدن فى النواحى التالية :

أ ـ الاشارة الى موقعها وتحصنها وما يحيط بها من أودية أو انهار أو بحار (10) .

ب ـ التعرض الى مسالكها وطرقها وازقتها ومبانيها من ذلك ما قاله فى وصف الاسكندرية « فلم أر مدينة أحسن منها وضعا ولا أبدع ربعا ولا أوسع مسالك ولا اعلى مبانى ولا أسمى مراقى ولا أجمل مراسم ولا أوضح معالم

---

(6) ص 165 من تحقيق الحسن السائح ، وأبو جردة هو وادى مجردة بتونس .
(7) ص 152 من تحقيق الحسن السائح .
(8) ص 198 وما بعدها .
(9) ص 215 وما بعدها .
(10) ص 163 فيها تحدث عن بلد العناب (بونة) قال فى شأنها : « مدينة مكينة وقلعة حصينة شهيرة الامتناع بائنة الارتفاع ومعدومة الشبيه والنظير فى القلاع ... »

ولا أملح أزقة ولا أعجب رونقا ودقة ولا أحسن تفصيلا وجملة (11) أو ما قاله عند ذكر مدينة غزة فهي « فسيحة الساحة مستطيلة المساحة نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحظة » واضاف قائلا هي « ما شئت من منظر عجيب وجانب رحيب، وبسيط خصيب وساحل قريب ومكان مؤنس لكل غريب .. » (12)

ج - الاهتمام بنظافتها ورونقها من ذلك ما قاله في وصف تونس المحروسة و « طفقت أتمشى في الاماكن المكينة وأتخلل سكك المدينة واتعجب من محاسنها المستبينة ووضوح قدمها ورسوخ قدمها وبهجتها وانفراجها وانفساح رباعها وابراجها ورونق رياضها وتذلل الهموم لفرجتها وارتياضها واتساع جنباتها وافنائها .. فدخلت منها جنة حفت من طرقها بالمكاره وعقيلة عقلت قلب الطائع والكاره فهي الدمية الغراء والقبة اللعساء والخريدة العيناء .. »

د - الاهتمام ايضا بنظافة المدينة وجدة بنائها أو قدمه ومثل ذلك ما قاله عن قرية « تبوك التي غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلدها اليوم خراب وعلى كل جدار غراب » (13) وهذه الاشارة كافية لابراز حساسية البلوى لمشهد الخراب وما يبعثه في النفس من شعور بالالم والتشاؤم .

هـ - التعرض لآثار المدينة وما تمتاز به : فقد اهتم البلوى أولا بالجوامع وكثرتها مثل وصف المسجد الاقصى في بيت المقدس الذى امتد على ثماني صفحات فجاء وصفه لوحة معمارية متكاملة ومتناسقة تدل على ذوق البلوى ومعرفته بالفن المعمارى عند المسلمين فذكر طوله وعرضه ومساحته وعدد سواريه وأبوابه ومحرابه ونقوشه وزينته .. ثم يتعرض للمارستانات ان وجدت وزارها ثانيا من ذلك حديثه الطويل المفحم بالاعجاب والتقدير عن مارستان بالقاهرة فنورد جملة تدل على ما ذكرنا قال « ولو استقصيت الكلام في هذا المارستان وحده لكان مجلدا مستقلا بنفسه اذ في مبانيه الرائعة وصناعاته وتواريخه المذهبة ونقوشه العجيبة المنتخبة التي ترفل في ملابس الاعجاب وتسحر العقول والالباب ما يفتن النفوس ... فما وقعت عين على مثله

(11) ص 198 .
(12) ص 239 .
(13) ص 278 .

ولا سمعت بشبهه وشكله ... » (14) ثم يصف ما تمتاز به كل مدينة من آثار فلم ينس أن يتعرض لما عاين فى الاسكندرية من سوارى الرخام وخاصة منارها الذى قال فيه « ومن عجائب الاسكندرية ايضا المنار وهو بخارجها قد صعد كالبرج الاعظم فى عنان السماء اساسه كله معقود بالرصاص وبنياته بالحجر المنجور الجافى يزاحم السماء سموا وارتفاعا ... » (15) أو ما ذكره فى وصف القاهرة فتحدث عن« الاهرام القديمة المعجزة البناء الغريبة المنظر البديعة الانشاء كأنها القباب المضروبة قامت فى جو السماء .. » (16) ويهتم أخيرا بالمشاهد وهى قبور الصالحين مثل مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها والمسجد العظيم الذى أقيم عليه وكذلك مشهد السيدة زينب رضى الله عنهـا وأيضا مشهد الامام الشافعى وكل هذه المشاهد فى القاهرة ...

و ــ وكثيرا ما يتعرض البلوى اثناء وصفه للمدن التى مر بها الى طبائع سكانها واخلاقهم واحتفائهم بالغريب فقال عندما وصف مدينة الجزائر إنـه رأى « أناسا قد سلكوا الى الحسن والاحسان طريقا » الا ان حديثه عن سكان المدن يأتى قصيرا ومختصرا وهذه ظاهرة فى جميع الرحلات تقريبا .

ز ــ وقد تحدث صاحب « تاج المفرق » مرة على الشرط اثناء دخول جمعهم ميناء الاسكندرية ، وهم أعوان الديوان الذين يحرسون حركة الوارد والصادر فى ذلك الميناء وقد وصفهم البلوى وصفا مؤثرا اذ قال « فلما وطئنا الرمل وسلمنا على الاخوان اختطفنا بالشرط والاعوان وحملنا بأجمعنا الى الديوان هناك شاهدنا الحساب ورأينا العذاب ، وملأوا منا البيوت والرحاب ثم أمرت اليد على القليل والكثير والخنير والنقير والدفتر والقطمير والرفيع والوضيع والغنى والفقير ، وفتشت الاوساط وعم الزحام والاختلاط وكثر الهياط والمياط حتى خرج المخزون والموزون وبرز المعكوم والمختوم وعند الله تجمع الخصوم فأخذ من كل عشرة دنانير ديناران ومن كل عشـرة دراهـم درهمان ، ظلما وعدوانا وجورا وطغيانا فاستشعرت الاسف .. » (17)

ان هذه الفقرة تصور لنا بصدق ما كان يعانيه الحجاج من دفع ضرائب عندما يمرون بالاسكندرية ولم تكن معاملتهم معاملة لطيفة . ولا يكفى ما يكابده

---

(14) ص 219 .

(15) ص 199 .

(16) ص 220 .

(17) ص 197 .

قاصد البقاع المقدسة من أخطار ، فى البر أو فى البحر ، بل ينضاف الى ذلك تحدى مشاعرهم وأخذ زادهم . ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أن ابن جبير قد تعرض الى وصف نفس الحادثة فى رحلته التى قام بها سنة 578 هـ (1182 م) وكان ذلك فى عهد الملك العادل صلاح الدين الايوبى الذى رفع عنهم هـذه المظلمة (18) .

اننا نلاحظ مما تقدم أن البلوى كان فى وصفه عابر سبيل اذ لم يدقـق وصفه ولم يضبطه وهذا يناقض ما ادعاه فى أول رحلته من انه قصد من تقييد رحلته « ذكر موارد الرحلة الحجازية وذكر معاهدة الوجهة المشرقية » بعكس ما فعل ابن جبير مثلا فقد وصف مراحل الرحلة وصفا جغرافيا دقيقا يمكن أن يكون دليلا للحاج ..

ويمكن ان نجد تفسير التقصير البلوى فى الوصـف وتحديـد مراحـل الطريق الى الحجاز وهو ان صاحبنا اعتنى بمسألة الترجمة للشيوخ الذين التقى بهم . فما خصائص الترجمة عنده ؟ وهل اعتنى بها ؟ والاجابة عن هذه المسألة تمثل الفائدة الثانية لرحلة البلوى .

2 ـ الترجمة فى « تـاج المفرق »

هذا الجانب الثانى من هذه الرحلة الذى اهتم به المؤلف بل يمكن القول انه الجانب الاهم فيها ولذا يمكن اعتبار « تاج المفرق » كتاب ترجمـة . فقـد تعرض البلوى الى اثنتين وثلاثين ترجمة مطولة لعدة علماء فى هذا القسـم المطبوع منها واحدة من بجاية وواحدة من قسنطينة وست من تونس وسبع من الاسكندرية وست من القاهرة وسبع من القدس واثنتان من المدينـة المنـورة واثنتان من مكة المكرمة . ويمكن القول ان هذه التراجم قد اشتملت على جل صفحات الكتاب فقد تمتد الترجمة الواحدة على ثمانى صفحات وقد تمتد على نصف صفحة الا ان أغلب التراجم طويلة . فما هى خصائص الترجمة عنـد البلوى ؟

ان البلوى يمثل الطالب المتعطش للمعارف فى عصره وليس هذا خاصا به اذ العصر انتشر فيه الجهل من ناحية وخيف فيه على كيان الامة الدينى من

---

(18) رحلة ابن جبير التى شرع سنة 578 هـ/1182 م ـ انظـر صفحـة 13 طبعة دار صادرودار بيروت ـ لبنان سنة 1384 هـ / 1964 م .

ناحية ، فالعصر عصر انعدم فيه الامن وانحدرت الاخلاق الفاضلة وتراجع المد العلمي للمسلمين . ويتمثل هذا التراجع فـي الاعتنـاء بالجمـع والتلخيص والاختصار والشرح وهذه الطرق المعرفية تترجم انعدام الابداع والابتكار في ميادين العلم والمعرفة . وبالاضافة الى ما ذكرنا فاننا نؤكد على مسألة أخرى هي انحباس الاشعاع العلمي في المراكز العلمية التقليدية (فاس ـ القيروان القاهرة ...) ولذا كان على الطالب ان يبحث عن الشيوخ والعلماء فصارت الرحلة من أهم مصادر العلم . وهذا ما انتبه اليه المفكر التونسي ابن خلدون الذي عقد فصلا في مقدمته عنوانه : « في أن الرحلة في طلب العلوم ولقـاء المشيخة مريد كمال في التعلم » (19) وليست الرحلة في رأينا مزيد كمال في التعلم في القرن الرابع عشر انما هي ضرورية لكثرة الاصطلاحات وتداخلها وتضاربها وبالرحلة يستطيع المتعلم ان يميز بينها ويدقق معانيهـا « فلقـاء أهل العلوم وتعدد المشائخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه مـن اختـلاف طرقهم فيها فيجرد العلم ويعلم انها انحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قـواه الى الرسوخ ... وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما » (20) .

ان ما قاله ابن خلدون يصدق على خالد بن عيسى البلوى . فقد كان صاحب « تاج المفرق » في شوق لا يرتوى الى لقاء العلماء حينما حل فيسرع للبحث عنهم حتى ان عبر قرية صغيرة مثل بجاية وقد عبر البلوى عن لهفته للقاء العلماء والاخذ عنهم عدة مرات من ذلك ما ذكره عند دخوله قسطنطينية فقال « وبادرت الى لقاء الفضلاء ومباحثة النبلاء اجتلى واجتنى ولا اجتنب وأنا والطرس في ملء أنتقى منهم وانتخب » (21) . وهذه اللهفة جعلت رحالتنا يستعمل طريقة خاصة في الترجمة لمن تتصل به . فكيف ترجم لشيوخه ؟

ان البلوى لا يتبع الطريقة المعهودة في التراجم من تعرض للنسب ثم تاريخ الولادة فنشأة المترجم له فدراسته فالوظائف التي تقلدها فانتاجه الفكري أو الادبي واخيرا وفاته وتاريخها . قلنا ان هذه الطريقة التقليدية غير متبعة في « تاج المفرق » . والسبب في ذلك هو الاسلوب المبتكر الذي توخاه صاحبنا في كتابة رحلته اذ لم يجعل لها عناوين ولا فواصل هذا من ناحية ومن ناحية

---

(19) مقدمة ابن خلدون ص 541 طبعة دار احياء التراث العربي ـ لبنان
(20) المقدمة ص 541
(21) ص 161 من تحقيق الحسن السائح

أخرى فانه يترجم للشيوخ الذين يلتقي بهم اثناء حديثه عن المدينة التي يحل بها او الجوامع التي يزورها . وهكذا تأتي الترجمة اثناء وصفه للمدينة التي يحل بها دون ان يجعل فاصلا بين العملين . وهذا لا يعني ان صاحبنا لا يقصد الترجمة للشيوخ الذين يلتقي بهم انما الاسلوب الذي توخاه في الكتابة أسلوب سردي وصفي .

مميزات الترجمة عند البلوي :

ان الاسلوب الذي توخاه صاحب « تاج المفرق » في كتابته جعله يتعامل مع الفكرة لا على أنها الغاية مما يكتب انما غايته هي ان يحدث في سمع القارىء نغما مطربا . وهذه الغاية جعلت ترجماته من نوع خاص امتاز فيه عن غيره من الرحالين مثل معاصره القاسم بن يوسف التجيبي السبتي المتوفى سنة 730 هـ (1329 م) ويمكن حصر تلك الميزات في النقاط التالية :

1 ـ اضفاء مجموعة نعوت على المترجم له دينية وأخلاقية وعلمية ، ويطيل في ذلك . وأغلب هذه النعوت تكون على صيغة فعيل أو أفعل أو ألفاظ تدل على التقدم والسبق والتفوق . وقد يستعين في ذلك بالكناية والمجاز وكثيرا ما يفعل فها هو يقول في أبي عبد الله بن عبد السلام هو « البحر المتلاطم الامواج والمنهل الذي تروى بعذبه بقاع الوهاد وتلاع الفجاج والمجموع الذي نزلت ساحته مفترقات العلوم نزول الماء الثجاج ، قاضي القضاة وامام الفقهاء والنحاة ورب العقل الوافر والحصاة .. » (22) وقد تزدحم هذه الصفات والنعوت على قلم الكاتب فينساق معها حتى تمتد على صفحة كاملة . وهذه لعمري ميزة لم نقع عليها في كتب رحلات أو تراجم أخرى . لكن ما سبب الافاضة في كيل الثناء والمدح ؟

أولا : ان البلوي كان في شوق الى لقاء العلماء والفقهاء كما ذكرنا ، فانبرى يعبر عن ذلك الشوق دون وعي ، فكيف نريد منه ان يعاكس قلمه وهو يتحدث عن شيوخ لم يلقهم من لم يرتحل ويعاني السفر . اننا أمام طالب علم فاز بمرغوبه فانتشى فمدح واثنى .

---

(22) ص 176 المصدر المتقدم

ثانيا : ان البلوى لم يكن يزيف الحقائق ويكيل المدح بدون استحقاق فقد اعطى لكل ذى حق حقه فمن اثنى عليهم وأطال فى ذلك هم اعلام العصر بدون منازع فمن تونس مثلا الشيخ العالم أبو عبد الله بن عبد السلام او ابو الحيان بن حيان العالم الاندلسى الذى استقر بالقاهرة .

ثالثا : ان اطناب البلوى فى الثناء على أولئك الشيوخ يترجم نقصا كبيرا فى العلماء فأصبحوا أعلاما يقصدون ومنارة يهتدى بهم والشىء اذا ندر مدح فلا غرو ان يميل البلوى اذن الى هذا الاسلوب فى الاشادة بهم .

رابعا : ان صاحب « تاج المفرق » يعترف بفضل من يعلمه كلمة وهذا ما أشار اليه عند تردده فى اثبات ترجمة عماد الدين أبى الحسن بن أبى بكر بن أبى الحسن الكندى المالكى والسبب فى ذلك هو نفوره من الطلبة قال فى شأنه : « قد كنت لقيته فى المرة الاولى ولم أعمل فى اثباته اليد الطولى لاستصقابه وقلة استصحابه وانقباضه عن حملة العلم وطلابه ثم رأيت ان اهمال ذكره اخمال لقدره واخلال به بين أهل قطره فشفعت فيه علمه واعلقت هذا الديوان اسمه » (23)

2 ــ عدم الاطالة فى ذكر نسب المترجم له والتحرى فى مكان ولادته وأصله ومذهبه مثل ما فعل معاصره التجيبى ، بينما اعتنى بوظائف المترجم له الدنيوية والدينية واخلاقه وعلاقاته بالطلبة والعلماء وذوى الجاه والسلطان . وان اهتم البلوى بالمكانة العلمية للمترجم له فانه لا يطنب فى ذكر صفاته ومروياته وشيوخه ومؤلفاته ويطنب فى الحديث عن لقائه كما ذكرنا .

3 ــ اهمال ذكر تاريخ ميلاد المترجم له وان ذكره ــ وهذا قليل الحدوث ــ فانه يذكره فى آخر ترجمته ، على عكس المألوف وهذا يفسر لهفته للأخذ عن الشيخ واستجازته . ومما يزيد تأكيدا هذا الرأى ان البلوى لا ينسى أن يذكر الاجازة التى يتحصل عليها من العالم الذى يترجم له . ففى كل ترجمة تقريبا نجد هذه الجملة « وأجازنى الاجازة التامة المطلقة العامة » وتأتى عادة بعد تدوين كل ما يسمعه عن أستاذه بتفصيل دقيق .

---

(23) ص 104 و ، من القسم المخطوط رقم 15060 المكتبة الوطنية بتونس

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن الاسلوب الذى توخاه فى الترجمة هو الاسلوب الذى اتبعه فى وصف مراحل الطريق او الآثار من بحث عن السجعة والمبالغة وما الى ذلك من وجوه فنية فالرحلة لوحات فنية متتابعة وهى صورة من النثر الفنى الذى تزعم مدرسته فى الاندلس لسان الدين بن الخطيب وذلك فى القرن الثامن للهجرة .

واخيرا بقيت لنا ملاحظات نذكرها :

الاولى هى ان كل مخطوط لا يحقق تحقيقا علميا لا فائدة فى طبعه اذ العصر يفرض علينا الحفاظ على الوقت وحسن استغلاله خاصة اذا آمنا أننا محتاجون اكثر من غيرنا الى ربح الوقت والمال حتى نستطيع بناء حضارة تناسب ديننا وتاريخنا .

الثانية أن المسؤولين على النشر لم يعوا بعد ان حظوظ الامة والمستقبل بأيديهم اذ التخلف فى الواقع هو التخلف الذهنى الناشىء عن تخلف ثقافى لا محالة . فمهما أوتينا من قوة اقتصادية لا تواكبها بل لا تسبقها قوة ثقافية وفكرية لا يمكن أن نطمئن لمستقبلنا .

الثالثة أن الجهود التى بذلها الاساتذة على حمريت وعبد الرزاق الحمامى ومحمد نوفل الجزيرى فى تحقيق قسم (أكثر من ثلين) من « تاج المفرق » للحصول على شهادة التعمق فى البحث ، الاول منذ سبع سنوات والثانى منذ أكثر من سنة والاخير منذ أقل من سنة ، تلك الجهود قد ضاعت سدى بالرغم من صرامة البحث والتحقيق . وليس عمل هؤلاء الباحثين الا واحدا من مئات التحقيقات والدراسات التى تكتظ بها احدى خزائن كلية الآداب والعلوم الانسانية . والغريب أننا كثيرا ما نسمع بانعدام الدراسات العلمية فى المستوى الجامعى . فمتى سيقع تشجيع الباحثين بنشر بحوثهم ؟

أحمد الشتيوى

أضواء الفكر

● **أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل :**

أهدانا الصديق الاستاذ أحمد خالد الطبعة الجديدة من كتابه الطاهر الحداد والبيئة التونسية فى الثلث الاول من القرن العشرين ، نشكره على ما أتفحنا به من عمل جاد ومثمر تمثل فى هذه الطبعة الثانية المنقحة والمطورة عن الدار التونسية للنشر . وقد بين الاستاذ أحمد خالد فى تقديم الكتاب وخطة البحث الدافع لاعادة طبع هذا الكتاب عن الطاهر الحداد الذى ما تزال الى الآن وبعد ما يقارب الخمسين سنة أصوات (أسواط) تتناوش شخصه من دون تمحيص لآرائه بالصورة الموضوعية الهادئة قال الاستاذ أحمد خالد : « **ولما ظهرت الرغبة الملحة فى إعادة طبع هذا الكتاب الصادر عن الدار التونسية للنشر لأول مرة سنة 1967 لم استسهل اعادة طبعه على علاته فنقحته وأثريته بفصول إضافية وباستنتاجات جديدة قادتنى اليها دراسة وثائق ومراجع جديدة اكتشفتها بعد صدور الطبعة الاولى لهذا الكتاب سواء منها ما يتصل بالمشروع الاقتصادى للطاهر الحداد أو بعمله الاجتماعى والثقافى أو ببرنامجه الاصلاحى الخاص بالاحوال الشخصية وبترقية المرأة أو بالوضع السياسى والثقافى فى البيئة التونسية . واذ توفر لدى المزيد من المعلومات عن تلك البيئة فى عصر الحداد فانرت بها جوانب شخصيته ومؤلفاته ونضاله ثم تجاوزتها الى التعريف بمناخ نضال جيله فى الثلث الاول من القرن العشرين ارتأيت تغيير عنوان الطبعة الاولى لابراز أهمية البيئة فى عنوان هذه النشرة الثانية** » .

فمطالعة هذا الكتاب مفيدة جدا اليوم وهى تبلور هذه الخصومة الدائمة بين القديم والجديد وبين التحرر والتقليد وبين التطور والتجميد . ولكن يتساءل الانسان هل أن جديد اليوم سيصير قديما كما بين ذلك القدماء أثناء نظرتهم الى التطور الطبيعى لمجتمعهم أم أن الامر يخضع الى دورة تفصيلية فى بعض الفترات ترجع جديد اليوم الى قديم الامس ، فهل من الطبيعى اليوم أن نعيد الخصومة التى حفت بالطاهر الحداد وآرائه بنفس اللغة ونفس الحماس ؟

فلعل قراءة هذا الكتاب فى طبعته الجديدة وبالنظر الى تطور المجتمع التونسي نتقدم فى تصورنا للطاهر الحداد وننصفه الانصاف الكلى بعد وفاته بخمس وأربعين سنة .

● مجلة العلم والتعليم :

صدر العدد 35 من مجلة العلم والتعليم (السنة الخامسة) التى يشرف عليها الصديق الاستاذ أحمد الشرفى . وقد جاء هذا العدد حافلا بالمواضيع وخاصة منها الافتتاحية التى عالجت موضوع التعريب تحت عنوان « بين التعريب والتغريب » .

وجاءت هذه الافتتاحية شارحة أطوار إصلاح التعليم بتونس وذاكرة المشروع الذى قدمه « جون ديبياس » والمضاعفات التى ترتبت عند تطبيقه وورد فى آخر هذه الافتتاحية الفقرة التالية : « وإحقاقا للحق فان كل تونسي أصيل يقدر الجهود المخلصة لرجل الفكر والتربية الاستاذ محمد مزالى الذى تجسم الصعوبات وتحمل سوء الأذى لأجل إخراج التربية من الوحل الذى دخلت فيه والغرق الذى تدحرجت اليه فى بحر هائج بعواصف التكوين المسموم وعلى جهاده المتواصل لأجل تقدم تونس فى وجهها العربى الأصيل رغم العراقيل التى ما يزال يصطنعها البعض من الجهلة وأصحاب المصالح الخاصة والارتباطات المشبوهة وبقايا أتباع « جون دوبياس » الذين تجاهروا باقامة جولتهم الراقصة المشهورة ظنا منهم بانهم سلخوا جلده واحرقوه فى الأتون الذى خلقوه .

فما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل ومن كان للشعب دام وانتصر ومن كان لغير الشعب انهزم واندثر والعبرة مماثلة لمن يعتبر » .

● الاتصال :

هذه نشرية تصدر من الادارة الفرعية للتعليم الثانوى والمهنى الفلاحى بادارة التعليم والبحث والارشاد الفلاحى وهذه الادارة يشرف عليها الصديق الاستاذ زكرياء بن مصطفى . والجديد فى هذه النشرية أنها تصدر لأول مرة باللغة العربية تحت شعار « العلم والبحث والتقنية » كما أكد ذلك المهندس

الرئيس مصطفى الابيض . وقد جاءت النشرية حافلة بالبحوث والدراسات ونحن نهنىء المشرفين عليها والمشاركين فى إثراها ونتمنى لها كل التقدم .

● **دائرة الوحدة للأوزان الشعرية :**

زارنا المبتكر السيد عبد الصاحب المختار من العراق الشقيق وحدثنا عن ابتكاره الذى تمثل فى جمع أوزان الخليل فى دائرة واحدة .. وهو ابتكار له أهميته سنحدث القراء عنه فى عدد لاحق .

● **تأصيلا لكيان :**

هذا كتاب صدر عن مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للتوزيع والنشر وهو من تأليف الاستاذ محمود المسعدى ويحتوى على عدد من المقالات والسوانح التى نشرت فى المجالات التونسية .

● **« صاحبة الجلالة » تفوز بجائزة البلدية :**

« صاحبة الجلالة » هذا هو عنوان الرواية التى ألفها الاديب عبد القادر الحاج نصر وشارك بها فى مسابقة البلدية فأحرزت على الجائزة التى تغيبت عن المسرح الثقافى طيلة ثلاث سنوات . وها هى تعود اليوم .

« صاحبة الجلالة » هى عبارة عن قصة رجل وامرأة جمعت بينهما التناقضات الحضارية والاحاسيس المتناقضة هى تحبه حتى الغباء وهو بارد العاطفة نحوها ورغم تطور الاحداث بينهما من ناحية وبينهما والمجتمع من ناحية أخرى الا أن ذلك لا يغير شيئا من علاقة (البرد) بينهما .

● **أعمدة من دخان :**

أصدرت مؤسسة (صفاء) للطباعة والنشر والصحافة اخيرا مجموعة قصصية جديدة للأديبة : نافلة ذهب وهى أول مجموعة لها تطرح فى السوق . وهذه المجموعة عبارة عن باقة من القصص القصيرة ذات الطابع الايحائى المتميز بذاته من ناحية طرق المواضيع التى عالجتها الاديبة بأسلوبها الخاص ، الذى يباغت القارىء بالوجه الآخر للصورة العادية .

● اسبوع المسرح فى القيروان :

من 2 جوان الى العاشر منه عاشت القيروان فى خضم المسـرح التـونسى أسبوعا كاملا احتضنته دار الثقافة بالقيروان . وقد شاركت فى هذا الظهور الثقافى خمس فرق مسرحية هى : فرقة المسـرح الشعبـى ، فرقة الكـاف ، فرقة القيروان ، فرقة بلدية تونس ، فرقة المسرح الجمهورى .

وفى مسرح الهواء الطلق تمت العروض وعاش الجمهـور مع المسرحيـات التالية : « فرحات ولد الكاهية » (الكـاف) ، و « دار الجد جات فى الحد » (القيروان) ، و « كـل شـى مريقـل » (الشعبى) ، و « جـد عليـك » (الجمهورى) ، و « المرشـال » (تـونس) ، وأما مسرحية « التـوابـع والزوابع » لفرقة جندوبة فلم يقع عرضها حسب المقرر .

وهذه الظاهرة الثقافية تنتظر التعميم فى جميع ولايـات الجمهـورية حتى تشمل اللامركزية ميدان المسرح التونسى .

● جائزة المسرح العربى :

فى أواخر شهر أوت 1979 ينتهى أجل تقديم الانتاج لنيل جائزة المسرح العربى التى تنظمها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الـدول العربية . وقيمة الجائزة 2000 دولار أو ما يعادلها تعطـى لأحسـن مسـرحية تتوفر فيها الشروط التالية :

1) أن تكون باللغة العربية الفصحى .

2) أن ترتبط بقضايا الانسان العربى .

3) أن تكون المسرحية اجتماعية أو قومية ذات دلالة انسـانية من خـلال موضوع معاصر أو مستقى من الأحداث .

● عودة من الاتحاد السوفياتى :

عاد الشاعر نور الدين صمود والاديب مصطفى الفارسى من رحلة ثقافية دعاهما اليها اتحاد الكتاب السوفياتى عن طريق اتحاد الكتاب التونسيين .

وقد قرأ صمود عددا من قصائده فى العديد من المدن السوفياتية فى نطاق مهرجان « بوشكين » الشعرى .

كما قام الفارسي بالاتصال الحواري مع عدد من الادباء السوفيات .

● **الضحك بلا حد**

أهدانا الصديق الأستاذ محمد المختار العبيدي مجموعته القصصية الصادرة عن الدار العربية للكتاب وهي بعنوان الضحك بلا حد ولقد نشرت هذه الاقاصيص أغلبها بمجلة الفكر . نهنىء الاستاذ على هذه الباكورة ونتمنى له اطراد النشر .

● **الهارب من الزواج**

هذه قصة طويلة للصديق أحمد العشي أهداها « الى هذه الارض » وتساءل فيها « هل سيكون الحق الى جانب العمل والنضال والصبر أم هو الى جانب الهروب والاستسلام ؟ » نهنىء الصديق على هذه القصة الجديدة ونتمنى لها الرواج .

● **القصة القصيرة في مصر ومحمود تيمور**

هذه الدراسة هي من تأليف حمزة محمد بوقري وهي صادرة بالرياض في سلسلة بعنوان مكتبة الدراسات . نقرأ فيها عن نشأة الاقصوصة وتطورها في مصر وأهم المراحل التي مرت بها وخاصة على يد محمود تيمور . الدراسة فيها كثير من الجهد والاعتماد على الانطباعات الشخصية دون اللجوء في الغالب الى دراسات سابقة .

● **الى مفخرة الاجيال منار الاسلامية والعروبية الحق الاستاذ العزيز محمد مزالي :**

هذا عنوان قصيد جادت به قريحة الشاعر محمد بن صابر بمناسبة اختيار تونس مقرا للجامعة العربية .

لله ثم رسوله والمؤمنين العزة القعساء والمجد الأثيل
في تونس الاسلام عم بنوره الأقطار يهدى بالحصافة لسبيل
من فجره لضحاه فيها مهده للظهر راقت عندها شمس الأصيل
برجالها الاكفاء تسمو للعلى في نخوة برئيسها الفذ الجليل
واليوم أجمعت العروبة أن يكون مقر جامعة بها ما من بديل
لا غرو يا أرض الأصالة أن تنالي بالجدارة ذلك الحظ الجزيل
واختص أهلك بالعموم من المكارم زانها بين الورى الخلق النبيل
فلقد غدوت لكل فتح مصدرا منذ الصحابة للتحرر من دخيل

صفحات مجد خلدت وعهود فخر حققت بسواعد الشعب الأصيل
من بعد أن قد جابهت محنا جسيما خطبها من بعضها الشر الوبيل
إذ هب أهل الذود عن حوض الحمى قد أشعلوا للثورة الكبرى الفتيل
بعزيمة وثابة والفكر وقاد حكى فى ومضه السيف الصقيل
فاجتاحت الأرجاء نيران الوغى ساقت عدوا فى النهاية للرحيل
وانسل يندب حظه وتوالت الويلات تترى بالثبور وبالعويل
كم من ضحايا جندلت ظلما بها كم من طريح من جريح من قتيل
شهداؤنا الأبرار أحياء لقد آواهم الفردوس فى الظل الظليل
ومقامهم فيها بعليين حيث يخلدون شرابهم من سلسبيل
فى وارفات الظل من عرض الجنان بواحة فيحاء طاب بها المقيل
من تحتها الأنهار تجرى سلسلا وتدلت الأعناب فى كنف النخيل
يا فتية بذلوا النفوس مع النفيس مجاهدين وليس فيهم من بخيل
واذا بأمر همة قد علقت تم المراد فلا وجود لمستحيل
النصر آت يا فلسطين فلا تدعى لشك فى انتصارك من سبيل
رغم التآمر والدسائس أحكمت فى نسجها من ذا ومن ذاك القبيل
« فالصدق فى قول مع الاخلاص فى عمل » ألا فالله بالعقبى كفيل
قد آن توحيد الصفوف لنستعيد المجد فى عهد يطالعنا جميل
أن نطوى الصفحات مهما قد حوت طى السجل وندفن الماضى الثقيل
ننسى الضغائن والحزازات التى توهى الكيان دماؤنا منها تسيل
فالله بالحسنى دعا لتآلف وأخوة هو حسبنا نعم الوكيل
كيما نحقق للعروبة حلمها بالعلم بالاخلاق بالنفس الطويل
بالصدق بالايمان بالعزم الذى ما عاقه فى سعيه الزاد القليل
فحضارة الاسلام صرح شامخ عبر العصور وليس يعوزها دليل
أين المقارب فى المعالى شأوها أين المشابه حسنها أين المثيل
يا رمز أمتنا العزيزة قد نزلت بتونس رحبا فيا نعم النزيل

محمد بن صابر